الهجرة النبوية المشرفة

وحديث القرآن الكريم عن المهاجرين والأنصار

جمع وترتيب

من خطب ومحاضرات فضيلة الشيخ

أبي عبد الله محمد بن سعيد رسلان

حفظه الله تعالى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

- **أَمَّا بَعْدُ:**

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

- **أَمَّا بَعْدُ:**

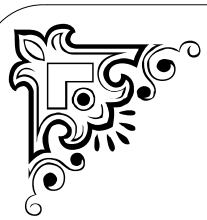

الْهِجْرَةُ النَّبَوِيَّةُ الْمُشَرَّفَةُ

فَالْهِجْرَةُ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ كَانَ لَهَا أَسْبَابُهَا، مِنْ هَذِهِ الْأَسْبَابِ: الِابْتِلَاءُ وَالِاضْطِهَادُ، فَمُنْذُ أَنْ أَعْلَنَ الرَّسُولُ ﷺ الدَّعْوَةَ ظَلَّ يَتَعَرَّضُ لِشَتَّىٰ أَنْوَاعِ الْمُضَايَقَاتِ هُوَ وَمَنْ أَسْلَمَ مَعَهُ؛ لِذَا كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُفَكِّرُ دَائِمًا فِي طَلَبِ الْحِمَايَةِ خَارِجَ مَكَّةَ عِنْدَمَا اسْتَعْصَتْ عَلَيْهِ مَكَّةُ بِطَوَاغِيتِهَا، فَكَانَتْ هِجْرَةُ الْحَبَشَةِ، وَهِجْرَةُ الطَّائِفِ، وَأَخِيرًا كَانَتْ هِجْرَةُ الْمَدِينَةِ.

وَمِمَّا يُؤَكِّدُ أَنَّ الِابْتِلَاءَ وَالِاضْطِهَادَ كَانَا سَبَبًا مِنْ أَسْبَابِ الْهِجْرَةِ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ: قَوْلُ بِلَالٍ رضي الله عنه عِنْدَمَا هَاجَرَ: «اللَّهُمَّ الْعَنْ شَيْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ، وَعُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ، وَأُمَيَّةَ بْنَ خَلَفٍ كَمَا أَخْرَجُونَا مِنْ أَرْضِنَا إِلَىٰ أَرْضِ الْوَبَاءِ»(١). أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ.

وَكَذَلِكَ قَوْلُ عَائِشَةَ رضي الله عنها فِي سَبَبِ هِجْرَةِ أَبِيهَا إِلَىٰ الْمَدِينَةِ: «اسْتَأْذَنَ النَّبِيَّ

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ فَضَائِلِ المَدِينَةِ: بَابُ كَرَاهِيَةِ النَّبِيِّ ﷺ أَنْ تُعْرَىٰ المَدِينَةُ، (١٨٨٩)، وَمُسْلِمٌ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ الْحَجِّ: باب الترغيب في سكن المدينة ...، (١٣٧٦)، مِنْ حَدِيثِ: عَائِشَةَ رضي الله عنها.

ﷺ أَبُو بَكْرٍ فِي الْخُرُوجِ حِينَ اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْأَذَىٰ»(١). أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ.

وَكَانَ ذَلِكَ السَّبَبَ نَفْسَهُ فِي مُحَاوَلَتِهِ الْهِجْرَةَ إِلَىٰ الْحَبَشَةِ مِنْ قَبْلُ هُوَ وَسَائِرُ الْمُسْلِمِينَ، كَمَا قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «فَلَمَّا ابْتُلِيَ الْمُسْلِمُونَ خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ مُهَاجِرًا نَحْوَ أَرْضِ الْحَبَشَةِ»(٢). أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ.

وَذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ فِي «السِّيرَةِ» أَنَّ مِنْ أَسْبَابِ الْهِجْرَةِ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ: تَعْذِيبَ الْمُسْلِمِينَ.

السَّبَبُ الثَّانِي مِنْ أَسْبَابِ الْهِجْرَةِ: وُجُودُ حِمَايَةٍ لِلدَّعْوَةِ تُمَكِّنُهَا مِنَ السَّيْرِ فِي طَرِيقِهَا، وَيُفْهَمُ ذَلِكَ مِنْ نُصُوصِ بَيْعَةِ الْعَقَبَةِ الثَّانِيَةِ.

وَمِنَ الْأَسْبَابِ أَيْضًا: التَّكْذِيبُ وَالْإِخْرَاجُ، تَكْذِيبُ كِبَارِ زُعَمَاءِ قُرَيْشٍ وَمُعْظَمِ عَامَّتِهِمُ الرَّسُولَ ﷺ، فَأَجْبَرُوهُ أَنْ يُفَكِّرَ فِي قَوْمٍ آخَرِينَ يُصَدِّقُونَهُ.

وَقَدْ عَبَّرَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ عَنْ هَذَا الْمَعْنَىٰ فِي قَوْلِهِ: «اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أُجَاهِدَهُمْ فِيكَ مِنْ قَوْمٍ كَذَّبُوا رَسُولَكَ ﷺ، وَأَخْرَجُوهُ».

وَفِي رِوَايَةٍ: «مِنْ قَوْمٍ كَذَّبُوا نَبِيَّكَ، وَأَخْرَجُوهُ مِنْ قُرَيْشٍ»(٣). رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ المَغَازِي: بَابُ غَزْوَةِ الرَّجِيعِ ...، (٤٠٩٣).

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ مَنَاقِبِ الأَنْصَارِ: بَابُ هِجْرَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ إِلَىٰ المَدِينَةِ، (٣٩٠٥).

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ مَنَاقِبِ الأَنْصَارِ: بَابُ هِجْرَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ إِلَىٰ المَدِينَةِ، (٣٩٠١)، وَمُسْلِمٌ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ الْجِهَادِ: بَابُ جَوَازِ قِتَالِ مَنْ نَقَضَ الْعَهْدَ، (١٧٦٩)، مِنْ حَدِيثِ: عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وَذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ فِي «السِّيرَةِ» مِنْ بَيْنِ ذِكْرِ الْأَسْبَابِ الَّتِي أَدَّتْ إِلَىٰ الْهِجْرَةِ هَذَا السَّبَبَ: أَنَّ تَكْذِيبَ قُرَيْشٍ الرَّسُولَ ﷺ كَانَ مِنْ أَسْبَابِ الْهِجْرَةِ.

مِنَ الْأَسْبَابِ -أَيْضًا-: مَخَافَةُ الْفِتْنَةِ فِي الدِّينِ، وَذَلِكَ وَاضِحٌ مِنْ قَوْلِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عِنْدَمَا سُئِلَتْ عَنِ الْهِجْرَةِ: «كَانَ الْمُؤْمِنُونَ يَفِرُّ أَحَدُهُمْ بِدِينِهِ إِلَىٰ اللهِ -تَعَالَىٰ- وَإِلَىٰ رَسُولِهِ ﷺ مَخَافَةَ أَنْ يُفْتَنَ عَلَيْهِ -أَيْ: عَلَىٰ دِينِهِ-»(١)، أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ.

الْمُطَّلِعُ عَلَىٰ مُلَابَسَاتِ وَظُرُوفِ الْهِجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ يُدْرِكُ بِجِلَاءٍ أَنَّ أَحْدَاثَ الدَّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ كَانَتْ تَجْرِي بِتَدْبِيرٍ مِنَ الْعَلِيمِ الْحَكِيمِ، يَحُوطُهَا بِرِعَايَتِهِ، وَيَصُونُهَا بِعِنَايَتِهِ، وَيُهَيِّئُ لَهَا الْأَسْبَابَ رَغْمَ الصِّعَابِ، فَمِنْ ذَلِكَ: أَنْ هَيَّأَ الْمَنَاخَ الْمُنَاسِبَ فِي يَثْرِبَ -وَهُوَ اسْمُ الْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ قَبْلَ الْهِجْرَةِ-؛ لِتَكُونَ دَارَ هِجْرَةٍ لِنَبِيِّهِ ﷺ وَمَحْضِنًا لِدَعْوَتِهِ بَعْدَمَا ضَاقَتْ بِالدَّعْوَةِ مَكَّةُ.

كَمَا هَيَّأَ الْأَوْسَ وَالْخَزْرَجَ -وَهُمْ سُكَّانُ يَثْرِبَ- لِنُصْرَتِهَا وَتَحَمُّلِ أَعْبَاءِ نَشْرِهَا بَعْدَمَا تَخَلَّىٰ عَنْ تِلْكَ الْمُهِمَّةِ السَّوَادُ الْغَالِبُ مِنْ قُرَيْشٍ وَزُعَمَاؤُهَا فِي مَكَّةَ.

أَسْرَعَ رِجَالُ الْخَزْرَجِ وَالْأَوْسِ فِي الدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ رَاجِينَ بِذَلِكَ إِنْهَاءَ

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ مَنَاقِبِ الأَنْصَارِ: بَابُ هِجْرَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ إِلَىٰ المَدِينَةِ، (٣٩٠٠)، وَاللَّفْظُ لَهُ، وَمُسْلِمٌ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ الْإِمَارَةِ: بَابُ الْمُبَايَعَةِ بَعْدَ فَتْحِ مَكَّةَ ...، (١٨٦٤).

الْحُرُوبِ بَيْنَهُمْ، وَلِيُبْعِدُوا عَنْهُمْ شَبَحَ الْإِبَادَةِ الَّذِي يُخَوِّفُهُمْ بِهَا الْيَهُودُ.

تَقُولُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فِي ذَلِكَ: «كَانَ يَوْمُ بُعَاثٍ -وَهُوَ يَوْمٌ مِنْ الْأَيَّامِ الَّتِي دَارَتْ رَحَىٰ الْحَرْبِ فِيهَا بَيْنَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ، وَقُتِلَ فِيهَا عَدَدٌ كَبِيرٌ مِنَ الطَّرَفَيْنِ وَمِنْ سَادَاتِهِمْ- كَانَ يَوْمُ بُعَاثٍ يَوْمًا قَدَّمَهُ اللهُ لِرَسُولِهِ ﷺ، فَقَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ -أَيِ: المَدِينَةَ- وَقَدِ افْتَرَقَ مَلَؤُهُمْ، وَقُتِلَتْ سَرَوَاتُهُمْ[1] وَجُرِحُوا، فَقَدَّمَهُ اللهُ لِرَسُولِهِ ﷺ فِي دُخُولِهِمْ فِي الْإِسْلَامِ»[2]. أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ.

وَنَذْكُرُ مَا كَانَ عِنْدَمَا لَقُوا النَّبِيَّ ﷺ مَرَّةً وَمَرَّةً وَمَرَّةً، فَلَقِيَهُ سِتَّةُ نَفَرٍ أَوَّلَ مَرَّةٍ، ثُمَّ كَانَتْ بَيْعَةُ الْعَقَبَةِ الْأُولَىٰ فِي السَّنَةِ الَّتِي بَعْدَهَا، ثُمَّ جَاءَتْ بَيْعَةُ الْعَقَبَةِ الثَّانِيَةِ فِي السَّنَةِ الَّتِي تَلَتْهَا، وَكَانُوا يُصَرِّحُونَ بِأَنَّ هَذَا هُوَ النَّبِيُّ الَّذِي تَوَعَّدَكُمْ بِهِ يَهُودُ؛ فَلَا يَسْبِقُنَّكُمْ إِلَيْهِ ﷺ.

❀❀❀

(١) سَرَوَاتُهُمْ: خِيَارُهُمْ وَأَشْرَافُهُمْ.

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ مَنَاقِبِ الأَنْصَارِ: بَابُ مَنَاقِبِ الأَنْصَارِ، (٣٧٧٧).

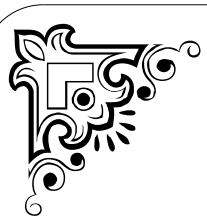

التَّمْهِيدُ وَالْإِعْدَادُ لِلْهِجْرَةِ

الْهِجْرَةُ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ سَبَقَهَا تَمْهِيدٌ وَإِعْدَادٌ وَتَخْطِيطٌ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ، كَانَ ذَلِكَ بِتَقْدِيرِ اللهِ -تَعَالَىٰ- وَتَدْبِيرِهِ.

وَكَانَ هَذَا الْإِعْدَادُ لِلْهِجْرَةِ فِي اتِّجَاهَيْنِ:

* إِعْدَادٌ فِي شَخْصِيَّةِ الْمُهَاجِرِينَ.

* وَإِعْدَادٌ فِي الْمَكَانِ الْمُهَاجَرِ إِلَيْهِ.

أَمَّا إِعْدَادُ الْمُهَاجِرِينَ؛ فَلَمْ تَكُنِ الْهِجْرَةُ نُزْهَةً وَلَا رِحْلَةً يُرَوِّحُ فِيهَا الْإِنْسَانُ عَنْ نَفسِهِ، وَلَكِنَّهَا مُغَادَرَةُ الْأَرْضِ وَالْأَهْلِ، وَوَشَائِجِ[1] الْقُرْبَىٰ، وَصِلَاتِ الصَّدَاقَةِ وَالْمَوَدَّةِ، وَأَسْبَابِ الرِّزْقِ، وَالتَّخَلِّي عَنْ كُلِّ ذَلِكَ مِنْ أَجْلِ الْعَقِيدَةِ؛ لِهَذَا احْتَاجَتْ إِلَىٰ جُهْدٍ كَبِيرٍ حَتَّىٰ وَصَلَ الْمُهَاجِرُونَ وَهُمْ يُعَدُّونَ لِلْهِجْرَةِ إِلَىٰ قَنَاعَةٍ كَامِلَةٍ بِهَذِهِ الْهِجْرَةِ.

وَمِنْ تِلْكَ الْوَسَائِلِ: التَّرْبِيَةُ الْإِيمَانِيَّةُ الْعَمِيقَةُ، وَالِاضْطِهَادُ الَّذِي أَصَابَ

---

(١) مفردها «**واشِجة**» وهي: الرَّحِمُ الْمُشْتَبِكَةُ الْمُتَّصِلَةُ.
انظُرْ: «**لِسَانَ الْعَرَبِ**»: (٢/ ٣٩٩)، مَادَّةُ: (وشج).

الْمُؤْمِنِينَ حَتَّىٰ وَصَلُوا إِلَىٰ قَنَاعَةٍ كَامِلَةٍ بِعَدَمِ إِمْكَانِيَّةِ الْمُعَايَشَةِ مَعَ الْكُفْرِ.

وَكَذَلِكَ تَنَاوُلُ الْقُرْآنِ الْمَكِّيِّ لِمَا يَتَعَلَّقُ بِأَمْرِ الْهِجْرَةِ مَعَ لَفْتِ النَّظَرِ إِلَىٰ أَنَّ أَرْضَ اللهِ وَاسِعَةٌ، قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر: ١٠].

ثُمَّ تَلَا ذَلِكَ نُزُولُ سُورَةِ الْكَهْفِ، وَتَحَدَّثَتِ السُّورَةُ عَنِ الْفِتْيَةِ الَّذِينَ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ، وَعَنْ هِجْرَتِهِمْ مِنْ بَلَدِهِمْ إِلَىٰ الْكَهْفِ، وَهَكَذَا اسْتَقَرَّتْ صُورَةٌ مِنْ صُوَرِ الْإِيمَانِ فِي نُفُوسِ الصَّحَابَةِ؛ وَهِيَ تَرْكُ الْأَهْلِ وَالْوَطَنِ مِنْ أَجْلِ الدِّينِ وَالْعَقِيدَةِ.

ثُمَّ تَلَا ذَلِكَ آيَاتٌ صَرِيحَاتٌ تَتَحَدَّثُ عَنِ الْهِجْرَةِ فِي سُورَةِ النَّحْلِ، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةًۖ وَلَأَجْرُ ٱلْأَخِرَةِ أَكْبَرُۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [النحل: ٤١-٤٢].

وَفِي آخِرِ السُّورَةِ يُؤَكِّدُ الْمَعْنَىٰ نَفْسَهُ مَرَّةً أُخْرَىٰ، فَيَقُولُ تَعَالَىٰ: ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النحل: ١١٠].

كَانَتِ الْهِجْرَةُ إِلَىٰ الْحَبَشَةِ تَدْرِيبًا عَمَلِيًّا قَبْلَ ذَلِكَ عَلَىٰ تَرْكِ الْأَهْلِ وَالْوَطَنِ لِمَنْ هَاجَرَ وَلِمَنْ لَمْ يُهَاجِرْ؛ فَعَايَنَ وَشَاهَدَ وَسَمِعَ.

الْإِعْدَادُ فِي يَثْرِبَ كَانَ بِنَظَرٍ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَيُلَاحَظُ أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ لَمْ يُسَارِعْ بِالِانْتِقَالِ إِلَىٰ الْأَنْصَارِ مِنَ الْأَيَّامِ الْأُولَىٰ، وَإِنَّمَا أَخَّرَ ذَلِكَ لِأَكْثَرَ مِنْ

عَامَيْنِ حَتَّىٰ تَأَكَّدَ مِنْ وُجُودِ الْقَاعِدَةِ الْوَاسِعَةِ نِسْبِيًّا، كَمَا كَانَ فِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ يَتِمُّ إِعْدَادُهَا فِي أَجْوَاءِ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ؛ خَاصَّةً بَعْدَ انْتِقَالِ مُصْعَبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ.

وَقَدْ تَأَكَّدَ أَنَّ الِاسْتِعْدَادَ لَدَىٰ الْأَنْصَارِ قَدْ بَلَغَ كَمَالَهُ ذَلِكَ بِطَلَبِهِمْ هِجْرَةَ الرَّسُولِ الْكَرِيمِ ﷺ إِلَيْهِمْ، كَمَا كَانَتِ الْمُنَاقَشَاتُ الَّتِي جَرَتْ فِي بَيْعَةِ الْعَقَبَةِ الثَّانِيَةِ تُؤَكِّدُ الْحِرْصَ الشَّدِيدَ مِنَ الْأَنْصَارِ عَلَىٰ تَأْكِيدِ الْبَيْعَةِ، وَالِاسْتِيثَاقِ لِلنَّبِيِّ ﷺ بِأَقْوَىٰ الْمَوَاثِيقِ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ.

وَكَانَ فِي رَغْبَتِهِمْ أَنْ يَمِيلُوا عَلَىٰ أَهْلِ (مِنًى) بِأَسْيَافِهِمْ مِمَّنْ آذَىٰ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَوْ أَذِنَ الرَّسُولُ ﷺ بِذَلِكَ؛ وَلَكِنَّهُ قَالَ لَهُمْ: «**إِنِّي لَمْ أُومَرْ بِذَلِكَ**»(١).

وَهَكَذَا تَمَّ الْإِعْدَادُ لِأَهْلِ يَثْرِبَ؛ لِيَكُونُوا قَادِرِينَ عَلَىٰ اسْتِقْبَالِ الْمُهَاجِرِينَ وَمَا يَتَرَتَّبُ عَلَىٰ ذَلِكَ مِنْ تَبِعَاتٍ.

فَنَلْحَظُ أَنَّ الْأَمْرَ لَمْ يَكُنْ أَمْرًا عَشْوَائِيًّا، لَمْ يَكُنْ فَطِيرًا(٢) لَا نَظَرَ فِيهِ وَلَا تَمَحُّصَ، وَكُلُّ ذَلِكَ بِأَمْرِ اللَّطِيفِ الْخَبِيرِ الْعَلِيمِ الَّذِي لَا يَعْزُبُ عَنْ عِلْمِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ.

❀❀❀

(١) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي «**الْمُسْنَدِ**»: (٣/ ٤٦١، رقم ١٥٧٩٨)، وَالْفَاكِهِيُّ فِي «**أَخْبَارِ مَكَّةَ**»: (٤/ ٢٣٧، رقم ٢٥٤٣)، بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ، مِنْ حَدِيثِ: كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) رَأْيٌ فَطِيرٌ: رَأْيٌ بِلَا تَفْكِيرٍ أَوْ رَوِيَّةٍ.

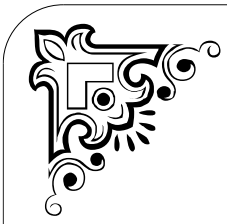

أَحْدَاثٌ بَيْنَ يَدَيِ الْهِجْرَةِ

مِنَ الْهِجْرَةِ إِلَىٰ دُخُولِ الرَّسُولِ ﷺ وَقَعَتْ أَحْدَاثٌ.

رَوَىٰ ابْنُ سَعْدٍ فِي «طَبَقَاتِهِ» عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «لَمَّا صَدَرَ -الصَّدَرُ (بِالتَّحْرِيكِ): هُوَ رُجُوعُ الْمُسَافِرِ مِنْ مَقْصِدِهِ- لَمَّا صَدَرَ رِجَالُ الْعَقَبَةِ الثَّانِيَةِ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ طَابَتْ نَفْسُهُ، وَقَدْ جَعَلَ اللهُ لَهُ مَنَعَةً وَقَوْمًا أَهْلَ حَرْبٍ وَعِدَّةٍ وَنَجْدَةٍ، وَجَعَلَ الْبَلَاءَ يَشْتَدُّ عَلَىٰ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ؛ لِمَا يَعْلَمُونَ مِنَ الْخُرُوجِ، فَضَيَّقُوا عَلَيْهِمْ، وَنَالُوا مِنْهُمْ مَا لَمْ يَكُونُوا يَنَالُونَ مِنَ الشَّتْمِ وَالْأَذَىٰ، فَشَكَا ذَلِكَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَاسْتَأْذَنُوهُ فِي الْهِجْرَةِ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ -كَمَا أَخْرَجَ ذَلِكَ الْبُخَارِيُّ فِي «الصَّحِيحِ»-: «**إِنِّي أُرِيتُ دَارَ هِجْرَتِكُمْ ذَاتَ نَخْلٍ بَيْنَ لَابَتَيْنِ**»(١)؛ وَهُمَا الْحَرَّتَانِ، اللَّابَتَانِ: جَمْعُ لَابَةٍ، هُمَا الْحَرَّتَانِ بِالْمَدِينَةِ مِنْ شَرْقِيَّةٍ وَغَرْبِيَّةٍ، وَهِيَ أَرْضٌ ذَاتُ حِجَارَةٍ سُودٍ.

ثُمَّ مَكَثَ أَيَّامًا، ثُمَّ خَرَجَ إِلَىٰ أَصْحَابِهِ مَسْرُورًا، فَقَالَ: «**قَدْ أُخْبِرْتُ بِدَارِ**

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ الكَفَالَةِ: بَابُ جِوَارِ أَبِي بَكْرٍ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ، (٢٢٩٧).

هِجْرَتِكُمْ، وَهِيَ يَثْرِبُ؛ فَمَنْ أَرَادَ الْخُرُوجَ فَلْيَخْرُجْ إِلَيْهَا»(١).

أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ فِي «صَحِيحَيْهِمَا» عَنْ أَبِي مُوسَىٰ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أُهَاجِرُ مِنْ مَكَّةَ إِلَىٰ أَرْضٍ بِهَا نَخْلٌ، فَذَهَبَ وَهَلِي** -الْوَهلُ (بِفَتْحِ الْهَاءِ) مَعْنَاهُ: وَهْمِي وَاعْتِقَادِي- **فَذَهَبَ وَهَلِي إِلَىٰ أَنَّهَا الْيَمَامَةُ أَوْ هَجَرُ، فَإِذَا هِيَ الْمَدِينَةُ يَثْرِبُ**»(٢).

«ثُمَّ إِنَّهُ ﷺ أَمَرَ جَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ بِالْهِجْرَةِ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ وَاللُّحُوقِ بِإِخْوَانِهِمْ مِنَ الْأَنْصَارِ، وَقَالَ: «**إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ جَعَلَ لَكُمْ إِخْوَانًا وَدَارًا تَأْمَنُونَ بِهَا**»(٣).

فَخَرَجُوا أَرْسَالًا -أَيْ: جَمَاعَاتٍ وَفِرَقًا مُتَقَطِّعَةً- بَعْضُهُمْ يَتْلُو بَعْضًا، مُتَخَفِّينَ مُشَاةً وَرُكْبَانًا.

وَأَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَكَّةَ يَنْتَظِرُ أَنْ يَأْذَنَ لَهُ رَبُّهُ فِي الْخُرُوجِ مِنْ مَكَّةَ، وَالْهِجْرَةِ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ.

رَوَىٰ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «صَحِيحِهِ» عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «أَوَّلُ مَنْ قَدِمَ عَلَيْنَا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ: مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ، وَابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ، فَجَعَلَا يُقْرِئَانِنَا الْقُرْآنَ، ثُمَّ جَاءَ عَمَّارٌ، وَبِلَالٌ، وَسَعْدٌ، ثُمَّ جَاءَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ

---

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ سَعْدٍ فِي «**الطَّبَقَاتِ**»: (١/ ٢٢٥-٢٢٦).

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ المَنَاقِبِ: بَابُ عَلَامَاتِ النُّبُوَّةِ فِي الإِسْلَامِ، (٣٦٢٢)، وَمُسْلِمٌ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ الرُّؤْيَا: بَابُ رُؤْيَا النَّبِيِّ ﷺ، (٢٢٧٢).

(٣) ذكره ابْنُ إِسْحَاقَ فِي «**السِّيرَةِ**»: اخْتِصَارِ ابْنِ هِشَامٍ (١/ ٤٦٨).

فِي عِشْرِينَ، ثُمَّ جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ»(١).

فِي هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ مُصْعَبًا هُوَ أَوَّلُ مَنْ هَاجَرَ وَمَعَهُ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ، قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ، وَابْنُ سَعْدٍ، وَبِهِ جَزَمَ مُوسَىٰ بْنُ عُقْبَةَ فِي «مَغَازِيهِ»: «كَانَ أَوَّلَ مَنْ هَاجَرَ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ مِنْ قُرَيْشٍ مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الْأَسَدِ، وَاسْمُهُ عَبْدُ اللهِ، هَاجَرَ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ قَبْلَ بَيْعَةِ الْعَقَبَةِ الثَّانِيَةِ بِسَنَةٍ، وَكَانَ قَدِمَ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَكَّةَ مِنْ أَرْضِ الْحَبَشَةِ، فَلَمَّا آذَتْهُ قُرَيْشٌ، وَبَلَغَهُ إِسْلَامُ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ الْأَنْصَارِ؛ خَرَجَ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ مُهَاجِرًا»(٢).

قَالَ الْحَافِظُ فِي «الْفَتْحِ»(٣): «وَيُمْكِنُ الْجَمْعُ بَيْنَ حَدِيثِ الْبُخَارِيِّ فِي أَوَّلِ مَنْ هَاجَرَ وَحَدِيثِ أَهْلِ الْمَغَازِي وَالسِّيَرِ بِحَمْلِ الْأَوَّلِيَّةِ فِي أَحَدِهِمَا عَلَىٰ صِفَةٍ خَاصَّةٍ بِجَعْلِهَا غَيْرَ مُطْلَقَةٍ؛ لِأَنَّ أَبَا سَلَمَةَ خَرَجَ لَا لِقَصْدِ الْإِقَامَةِ بِالْمَدِينَةِ، بَلْ فِرَارًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ؛ بِخِلَافِ مُصْعَبٍ رضي الله عنه، فَإِنَّهُ خَرَجَ إِلَيْهَا لِلْإِقَامَةِ بِهَا، وَتَعْلِيمِ مَنْ أَسْلَمَ مِنْ أَهْلِهَا بِأَمْرِ النَّبِيِّ ﷺ؛ فَلِكُلٍّ أَوَّلِيَّةٌ مِنْ جِهَةٍ».

لَمْ تَكُنْ هِجْرَةُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ مَكَّةَ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ هَيِّنَةً سَهْلَةً تَسْمَعُ بِهَا قُرَيْشٌ وَتَطِيبُ بِهَا نَفْسًا وَتَقَرُّ بِهَا عَيْنًا، بَلْ كَانُوا يَضَعُونَ الْعَرَاقِيلَ فِي سَبِيلِ الِانْتِقَالِ

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ مَنَاقِبِ الأَنْصَارِ: بَابُ مَقْدَمِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ المَدِينَةَ، (٣٩٢٥).

(٢) ذكره ابْنُ إِسْحَاقَ فِي «**السِّيرَةِ**»: اخْتِصَارِ ابْنِ هِشَامٍ (١/ ٤٦٨)، وابْنُ سَعْدٍ فِي «**الطَّبَقَاتِ**»: (١/ ٢٢٥).

(٣) «**فَتْحُ الْبَارِي**»: (٧/ ٢١٦).

مِنْ مَكَّةَ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ، وَيَمْتَحِنُونَ الْمُهَاجِرِينَ بِأَنْوَاعٍ مِنَ الْمِحَنِ، وَكَانَ الْمُهَاجِرُونَ لَا يَعْدِلُونَ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ، وَلَا يُؤْثِرُونَ الْبَقَاءَ فِي مَكَّةَ، وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ مَعْنَىٰ الْهِجْرَةِ: إِهْدَارُ الْمَصَالِحِ، وَالتَّضْحِيَةُ بِالْأَمْوَالِ(١)، وَالنَّجَاةُ بِالشَّخْصِ فَحَسْبُ، مَعَ الْإِشْعَارِ بِأَنَّهُ مُسْتَبَاحٌ مَنْهُوبٌ، قَدْ يَهْلِكُ فِي أَوَائِلِ الطَّرِيقِ، أَوْ فِي أَوَاسِطِهَا، أَوْ فِي نِهَايَتِهَا، وَبِأَنَّهُ يَسِيرُ نَحْوَ مُسْتَقْبَلٍ مُبْهَمٍ لَا يَدْرِي مَا يُتَمَخَّضُ عَنْهُ مِنْ قَلَاقِلَ وَأَحْزَانٍ»(٢).

«وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَثِيرًا مَا يَسْتَأْذِنُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي الْهِجْرَةِ، فَيَقُولُ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا تَعْجَلْ؛ لَعَلَّ اللهَ يَجْعَلُ لَكَ صَاحِبًا**»، فَيَطْمَعُ أَبُو بَكْرٍ أَنْ يَكُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ الصَّاحِبُ.

رَوَىٰ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ فِي حَدِيثِ الْهِجْرَةِ الطَّوِيلِ: «فَهَاجَرَ مَنْ هَاجَرَ قِبَلَ الْمَدِينَةِ، وَرَجَعَ عَامَّةُ مَنْ كَانَ هَاجَرَ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ، وَتَجَهَّزَ أَبُو بَكْرٍ قِبَلَ الْمَدِينَةِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**عَلَىٰ رِسْلِكَ؛ فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يُؤْذَنَ لِي**».

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: «وَهَلْ تَرْجُو ذَلِكَ بِأَبِي أَنْتَ؟».

قَالَ: «**نَعَمْ**».

فَحَبَسَ أَبُو بَكْرٍ نَفْسَهُ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ لِيَصْحَبَهُ، وَعَلَفَ رَاحِلَتَيْنِ كَانَتَا

---

(١) إِهْدَارُ الْمَصَالِحِ الشَّخْصِيَّةِ وَالتَّضْحِيَةُ بِمَا يَمْتَلِكُ الْمُهَاجِرُ مِنْ غَالٍ وَنَفِيسٍ.

(٢) «**اللؤلؤ المكنون في سيرة النبي المأمون**» (٢/ ٧-١٢)، باختصار يسير.

عِنْدَهُ وَرَقَ السَّمُرِ -وَهُوَ الْخَبَطُ- أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ(١)»(٢).

تَأَخَّرَ النَّبِيُّ ﷺ، وَحَبَسَ مَعَهُ أَبَا بَكْرٍ وَعَلِيًّا أَيْضًا؛ لِيُؤَدِّيَ الْوَدَائِعَ الَّتِي كَانَتْ عِنْدَهُ لِلنَّاسِ.

وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَيْسَ بِمَكَّةَ أَحَدٌ عِنْدَهُ شَيْءٌ يُخْشَىٰ عَلَيْهِ إِلَّا وَضَعَهُ عِنْدَهُ؛ لِمَا يَعْلَمُ مِنْ صِدْقِهِ وَأَمَانَتِهِ ﷺ.

وَاجْتَمَعَتْ قُرَيْشٌ فِي دَارِ النَّدْوَةِ لِلْمُشَاوَرَةِ فِي أَمْرِ النَّبِيِّ ﷺ، فَأَجْمَعُوا عَلَىٰ قَتْلِهِ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ عليه السلام بِالْوَحْيِ مِنْ عِنْدِ اللهِ، فَأَخْبَرَهُ بِذَلِكَ، وَأَذِنَ اللهُ لَهُ بِالْهِجْرَةِ، فَهَاجَرَ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠].

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ(٣): «وَلَمَّا رَأَتْ قُرَيْشٌ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدْ كَانَتْ لَهُ شِيعَةٌ وَأَصْحَابٌ مِنْ غَيْرِهِمْ مِنْ غَيْرِ بَلَدِهِمْ، وَرَأَوْا خُرُوجَ أَصْحَابِهِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ إِلَيْهِمْ؛ عَرَفُوا أَنَّهُمْ قَدْ نَزَلُوا دَارًا، وَأَصَابُوا مِنْهُمْ مَنَعَةً، فَحَذِرُوا خُرُوجَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِمْ، وَعَرَفُوا أَنَّهُمْ قَدْ أَجْمَعَ لِحَرْبِهِمْ، فَاجْتَمَعُوا لَهُ فِي دَارِ النَّدْوَةِ - وَهِيَ

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ الكَفَالَةِ: بَابُ جِوَارِ أَبِي بَكْرٍ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ، (٢٢٩٧).

(٢) «**اللؤلؤ المكنون في سيرة النبي المأمون**»: (٢/ ٢٨-٢٩).

(٣) فِي «**السِّيرَةِ**»: اخْتِصَارِ ابْنِ هِشَامٍ (١/ ٤٨٠).

دَارُ قُصَيِّ بْنِ كِلَابٍ الَّتِي كَانَتْ قُرَيْشٌ لَا تَقْضِي أَمْرًا إِلَّا فِيهَا - يَتَشَاوَرُونَ فِيهَا مَا يَصْنَعُونَ فِي أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِينَ خَافُوهُ».

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ(١): «وَكَانَ مِمَّا أَنْزَلَ اللهُ ﷻ مِنَ الْقُرْآنِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ وَمَا كَانُوا أَجْمَعُوا لَهُ: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠]، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾﴾ [الطور: ٣٠- ٣١]».

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ(٢): «وَأَذِنَ اللهُ تَعَالَىٰ لِنَبِيِّهِ ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ فِي الْهِجْرَةِ».

أَخْبَرَ -تَعَالَىٰ- نَبِيَّهُ ﷺ بِمَكْرِ الْمُشْرِكِينَ لَهُ، وَتَآمُرِهِمْ عَلَيْهِ، أَخْرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» بِسَنَدٍ حَسَنٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ﴾ [الأنفال: ٣٠] قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: تَشَاوَرَتْ قُرَيْشٌ لَيْلَةً بِمَكَّةَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِذَا أَصْبَحَ فَأَثْبِتُوهُ بِالْوَثَاقِ -يُرِيدُونَ النَّبِيَّ ﷺ-.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلِ اقْتُلُوهُ.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ أَخْرِجُوهُ، فَأَطْلَعَ اللهُ ﷻ نَبِيَّهُ عَلَىٰ ذَلِكَ، فَبَاتَ عَلِيٌّ عَلَىٰ فِرَاشِ النَّبِيِّ ﷺ تِلْكَ اللَّيْلَةَ»(٣).

---

(١) فِي «**السِّيرَةِ**»: اخْتِصَارِ ابْنِ هِشَامٍ (١/ ٤٨٤).

(٢) «المصدر السابق»: (١/ ٤٨٤).

(٣) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي «**الْمُسْنَدِ**»: (١/ ٣٤٨، رقم ٣٢٥١)، وَالطَّبَرَانِيُّ فِي «**الْكَبِيرِ**»: (١١/ ٤٠٧، رقم ١٢١٥٥).

جَاءَ تَفْصِيلُ قِصَّةِ مُكُوثِهِمْ عَلَىٰ بَابِ الرَّسُولِ ﷺ، وَوَضْعِهِ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- التُّرَابَ عَلَىٰ رُؤُوسِهِمْ، وَمَا كَانَ مِنْ خُرُوجِهِ دُونَ أَنْ يَرَوْهُ؛ جَاءَ ذَلِكَ عَنِ ابْنِ إِسْحَاقَ فِي «السِّيرَةِ»(١).

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيِّ قَالَ: «لَمَّا اجْتَمَعُوا لَهُ وَفِيهِمْ أَبُو جَهْلِ بْنُ هِشَامٍ، فَقَالَ -وَهُمْ عَلَىٰ بَابِهِ-: إِنَّ مُحَمَّدًا يَزْعُمُ أَنَّكُمْ إِنْ تَابَعْتُمُوهُ عَلَىٰ أَمْرِهِ كُنْتُمْ مُلُوكَ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ، ثُمَّ بُعِثْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ فَجُعِلَتْ لَكُمْ جِنَانٌ كَجِنَانِ الْأُرْدُنِّ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا كَانَ لَهُ فِيكُمْ ذَبْحٌ، ثُمَّ بُعِثْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ، ثُمَّ جُعِلَتْ لَكُمْ نَارٌ تُحَرَّقُونَ فِيهَا .

قَالَ: وَخَرَجَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَأَخَذَ حَفْنَةً مِنْ تُرَابٍ فِي يَدِهِ، ثُمَّ قَالَ: «**أَنَا أَقُولُ ذَلِكَ، وَأَنْتَ أَحَدُهُمْ**»».

وَأَخَذَ اللهُ -تَعَالَىٰ- أَبْصَارِهِمْ عَنْهُ فَلَا يَرَوْنَهُ، فَجَعَلَ يَنْثُرُ ذَلِكَ التُّرَابَ عَلَىٰ رُؤُوسِهِمْ وَهُوَ يَتْلُو هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ مِنْ يس: ﴿يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ﴾ إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يس: ١ - ٩].

حَتَّىٰ فَرَغَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا وَقَدْ وَضَعَ عَلَىٰ رَأْسِهِ تُرَابًا، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَىٰ حَيْثُ أَرَادَ أَنْ يَذْهَبَ، فَأَتَاهُمْ آتٍ مِمَّنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُمْ، فَقَالَ: مَا تَنْتَظِرُونَ هَاهُنَا؟

قَالُوا: مُحَمَّدًا.

---

(١) فِي «**السِّيرَةِ**»: اخْتِصَارِ ابْنِ هِشَامٍ (١/ ٤٨٣).

قَالَ: خَيَّبَكُمُ اللهُ! قَدْ وَاللهِ خَرَجَ عَلَيْكُمْ مُحَمَّدٌ، ثُمَّ مَا تَرَكَ مِنْكُمْ رَجُلًا إِلَّا وَقَدْ وَضَعَ عَلَىٰ رَأْسِهِ تُرَابًا، وَانْطَلَقَ لِحَاجَتِهِ؛ أَفَمَا تَرَوْنَ مَا بِكُمْ؟!

قَالَ: فَوَضَعَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ يَدَهُ عَلَىٰ رَأْسِهِ فَإِذَا عَلَيْهِ تُرَابٌ، ثُمَّ جَعَلُوا يَتَطَلَّعُونَ فَيَرَوْنَ عَلِيًّا عَلَىٰ الْفِرَاشِ مُتَسَجِّيًا بِبُرْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

فَيَقُولُونَ: وَاللهِ! إِنَّ هَذَا لَمُحَمَّدٌ نَائِمًا عَلَيْهِ بُرْدُهُ، فَلَمْ يَبْرَحُوا كَذَلِكَ حَتَّىٰ أَصْبَحُوا.

فَقَامَ عَلِيٌّ رضي الله عنه عَنِ الْفِرَاشِ.

فَقَالُوا: وَاللهِ لَقَدْ كَانَ صَدَقَنَا الَّذِي حَدَّثَنَا»[1]. إِسْنَادُهُ رِجَالُهُ ثِقَاتٌ، وَأَخْرَجَهُ الطَّبَرِيُّ فِي «تَارِيخِهِ»، وَأَبُو نُعَيْمٍ فِي «الدَّلَائِلِ»، وَصَرَّحَ ابْنُ إِسْحَاقَ بِالتَّحْدِيثِ، ولَهُ شَاهِدٌ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ؛ وَبِهِ يَكُونُ الْحَدِيثُ حَسَنًا -إِنْ شَاءَ اللهُ-.

«أَثْبَتَتِ الْهِجْرَةُ النَّبَوِيَّةُ أَنَّ الدَّعْوَةَ وَالْعَقِيدَةَ يُتَنَازَلُ لَهُمَا عَنْ كُلِّ حَبِيبٍ وَعَزِيزٍ وَأَلِيفٍ وَأَنِيسٍ، وَعَنْ كُلِّ مَا جُبِلَتِ الطِّبَاعُ السَّلِيمَةُ عَلَىٰ حُبِّهِ وَإِيثَارِهِ، وَالتَّمَسُّكِ بِهِ وَالْتِزَامِهِ، وَلَا يُتَنَازَلُ عَنْهُمَا لِشَيْءٍ.

كَانَتْ مَكَّةُ -فَضْلًا عَنْ كَوْنِهَا مَوْلِدًا وَمَنْشَأً لِلرَّسُولِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ- مَهْوَىٰ الْأَفْئِدَةِ، وَمِغْنَاطِيسَ الْقُلُوبِ؛ فَفِيهَا الْكَعْبَةُ.. الْبَيْتُ الْحَرَامُ الَّذِي جَرَىٰ حُبُّهُ مِنْهُمْ

---

(١) وَأَخْرَجَهُ الطَّبَرِيُّ فِي «**تَارِيخِ**»: (٢/ ٣٧٠-٣٧٣)، وَأَبُو نُعَيْمٍ فِي «**الدَّلَائِلِ**»: (ص٢٠٠، رقم ١٥٤)، مطولا.

مَجْرَىٰ الرُّوحِ وَالدَّمِ؛ وَلَكِنَّ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ لَمْ يَمْنَعْهُ وَأَصْحَابَهُ مِنْ مُغَادَرَةِ الْوَطَنِ، وَمُفَارَقَةِ الْأَهْلِ وَالسَّكَنِ حِينَ ضَاقَتِ الْأَرْضُ عَلَىٰ هَذِهِ الدَّعْوَةِ وَالْعَقِيدَةِ، وَتَنَكَّرَ أَهْلُهَا لَهُمَا.

وَقَدْ تَجَلَّتْ هَذِهِ الْعَاطِفَةُ الْمُزْدَوَجَةُ؛ عَاطِفَةُ الْحَنِينِ الْإِنْسَانِيِّ، وَعَاطِفَةُ الْحُبِّ الْإِيمَانِيِّ فِي كَلِمَتِهِ ﷺ الَّتِي قَالَهَا مُخَاطِبًا مَكَّةَ: «**مَا أَطْيَبَكِ مِنْ بَلَدٍ وَأَحَبَّكِ إِلَيَّ! وَلَوْ لَا أَنَّ قَوْمِي أَخْرَجُونِي مِنْكِ مَا سَكَنْتُ غَيْرَكِ!**»(١)؛ عَمَلًا بِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [العنكبوت: ٥٦].

«وَلَمْ يَزَلِ الْحُبُّ مُنْذُ فَطَرَ اللهُ الْإِنْسَانَ مُلْهِمًا لِلدَّقَائِقِ الْعَجِيبَةِ، وَبَاعِثًا عَلَىٰ الْإِشْفَاقِ عَلَىٰ مَنْ تَعَلَّقَ بِهِ الْقَلْبُ وَأَحَبَّتْهُ النَّفْسُ، وَهَذَا كَانَ شَأْنَ أَبِي بَكْرٍ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي تِلْكَ الرِّحْلَةِ»(٢).

❀❀❀

(١) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي «**الْجَامِعِ**»: أَبْوَابُ الْمَنَاقِبِ: بَابٌ فِي فَضْلِ مَكَّةَ، (٣٩٢٦)، مِنْ حَدِيثِ: ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.
قال التِّرْمِذِيُّ: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الوَجْهِ»، وصَحَّحَ إِسْنَادَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي هَامِشِ «**مِشْكَاةِ الْمَصَابِيحِ**»: (٢/ ٨٣٢، رقم ٢٧٢٤).
(٢) «**السيرة النبوية**» (ص٢٣٩-٢٤١).

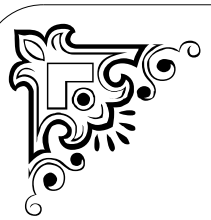

أَحْدَاثُ هِجْرَةِ النَّبِيِّ ﷺ

«لَقَدْ أَذِنَ اللهُ -تَعَالَىٰ- لِرَسُولِهِ بِالْهِجْرَةِ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ، وَكَانَ يَتَرَدَّدُ عَلَىٰ بَيْتِ أَبِي بَكْرٍ كُلَّ يَوْمٍ صَبَاحًا وَمَسَاءً، لَا يَكَادُ يَدَعُ ذَلِكَ، كَمَا فِي «الصَّحِيحِ».

فَلَمَّا أُذِنَ لَهُ بِالْهِجْرَةِ جَاءَهُمْ ظُهْرًا عَلَىٰ غَيْرِ عَادَتِهِ وَهُوَ مُتَقَنِّعٌ(١)، فَأَخْبَرَ أَبَا بَكْرٍ بِذَلِكَ، وَاخْتِيَارُهُ وَقْتَ الظُّهْرِ؛ لِأَنَّ النَّاسَ تَأْوِي إِلَىٰ بُيُوتِهَا لِلْقَيْلُولَةِ فِرَارًا مِنَ الْحَرِّ، وَتَقَنُّعُهُ يُفِيدُ شُعُورَهُ بِالْخَطَرِ مِنْ حَوْلِهِ؛ فَقَدِ اعْتَزَمَتْ قُرَيْشٌ قَتْلَهُ، وَلَا بُدَّ أَنَّهَا سَتَعْمَدُ إِلَىٰ رَصْدِ تَحَرُّكِهِ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠]»(٢).

ائْتِمَارُ الْمُشْرِكِينَ لِقَتْلِهِ ثَابِتٌ بِنَصِّ الْآيَةِ، فَلَا يَبْعُدُ أَنْ يُحَاصِرُوا بَيْتَهُ ﷺ.

«أَذِنَ اللهُ -تَعَالَىٰ- لِنَبِيِّهِ ﷺ فِي الْهِجْرَةِ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ.

أَخْرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ»، وَالْحَاكِمُ، وَالتِّرْمِذِيُّ بِسَنَدٍ حَسَنٍ عَنِ

---

(١) غَطَّىٰ رَأْسَهُ.

(٢) «السِّيرةُ النَّبَويَّةُ الصَّحيحَةُ مُحَاوَلَةٌ لِتَطبيقِ قَوَاعِدِ المُحَدِّثِينَ»: (١/ ٢٠٧).

ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **أَنَّهُ قَالَ:** «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَكَّةَ، ثُمَّ أُمِرَ بِالْهِجْرَةِ، وَأُنْزِلَ عَلَيْهِ ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٠]»(١).

تَأَخَّرَ النَّبِيُّ ﷺ كَمَا يَتَأَخَّرُ الرُّبَّانُ الشَّرِيفُ عَلَىٰ ظَهْرِ الْبَاخِرَةِ الْمَيْؤُوسِ مِنْهَا، فَلَا يَنْزِلُ حَتَّىٰ يَنْزِلَ الرُّكَّابُ جَمِيعًا، وَكَمَا يَتَأَخَّرُ الرَّاعِي الْأَمِينُ عِنْدَ الْمَفَازَةِ حَتَّىٰ يَجُوزَ الْجَمِيعُ؛ تَأَخَّرَ ﷺ يَحْمِي أَتْبَاعَهُ، وَيَسْتَقْبِلُ بِصَدْرِهِ الْخَطَرَ.

وَأَطْلَعَ اللهُ -تَعَالَىٰ- نَبِيَّهُ ﷺ عَلَىٰ تَبْيِيتِ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَهُ، وَلَمَّا أُذِنَ لَهُ بِالْهِجْرَةِ قَالَ لِجِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**مَنْ يُهَاجِرُ مَعِي؟**».

قَالَ: «أَبُو بَكْرٍ»(٢).

فَذَهَبَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَىٰ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ لِيُخْبِرَهُ بِذَلِكَ، وَلِيُرَتِّبَ مَعَهُ أَمْرَ الْهِجْرَةِ»(٣).. الْهِجْرَةُ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ خَاصَّةً.

---

(١) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي «**الْمُسْنَدِ**»: (١/ ٢٢٣، رقم ١٩٤٨)، وَالتِّرْمِذِيُّ فِي «**الْجَامِعِ**»: أَبْوَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ: بَابٌ وَمِنْ سُورَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، (٣١٣٩)، وَالْحَاكِمُ فِي «**الْمُسْتَدْرَكِ**»: (٢/ ٢٤٣، رقم ٢٩٥٦).

قال التِّرْمِذِيُّ: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»، وَقال الْحَاكِمُ: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ».

(٢) أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ فِي «**الْمُسْتَدْرَكِ**»: (٣/ ٦، رقم ٤٢٦٦)، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَالْمَتْنِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ»، وقال الذهبي: صحيح غريب.

(٣) «**اللؤلؤ المكنون في سيرة النبي المأمون**»: (٢/ ٣٥-٣٦).

وَقَدِ اخْتُصَّتِ الْمَدِينَةُ بِكَثِيرٍ مِنَ الْخَصَائِصِ، مِنْهَا: مَحَبَّتُهُ ﷺ لَهَا، وَدُعَاؤُهُ؛ فَقَدْ دَعَا النَّبِيُّ ﷺ رَبَّهُ قَائِلًا: «**اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ**»(١).

وَمِمَّا اخْتُصَّتْ بِهِ: دُعَاءُ النَّبِيِّ ﷺ بِضِعْفَيْ مَا فِي مَكَّةَ مِنَ الْبَرَكَةِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ النَّاسُ إِذَا رَأَوْا أَوَّلَ الثَّمَرِ جَاءُوا بِهِ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، فَإِذَا أَخَذَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَ: «**اللهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي ثَمَرِنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي مُدِّنَا، اللهُمَّ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ عَبْدُكَ وَخَلِيلُكَ وَنَبِيُّكَ، وَإِنِّي عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ، وَإِنَّهُ دَعَاكَ لِمَكَّةَ، وَإِنِّي أَدْعُوكَ لِلْمَدِينَةِ بِمِثْلِ مَا دَعَاكَ لِمَكَّةَ وَمِثْلِهِ مَعَهُ**».

ثُمَّ يَدْعُو أَصْغَرَ وَلِيدٍ لَهُ فَيُعْطِيهِ ذَلِكَ الثَّمَرَ»(٢). أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.

مِنْ ذَلِكَ: عِصْمَتُهَا مِنَ الدَّجَّالِ، وَالطَّاعُونِ؛ فَاللهُ قَيَّضَ لَهَا مَلَائِكَةً يَحْرُسُونَهَا، فَلَا يَسْتَطِيعُ الدَّجَّالُ إِلَيْهَا سَبِيلًا؛ بَلْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ بِإِخْوَانِهِ مِنَ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ.

كَمَا أَنَّ مِنْ لَوَازِمِ دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ بِالصِّحَّةِ وَرَفْعِ الْوَبَاءِ: أَلَّا يَنْزِلَ بِهَا الطَّاعُونُ، كَمَا أَخْبَرَ بِذَلِكَ الْمَعْصُومُ ﷺ.

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ فَضَائِلِ المَدِينَةِ: بَابُ كَرَاهِيَةِ النَّبِيِّ ﷺ أَنْ تُعْرَىٰ المَدِينَةُ، (١٨٨٩)، وَمُسْلِمٌ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ الْحَجِّ: باب الترغيب في سكن المدينة ...، (١٣٧٦)، مِنْ حَدِيثِ: عَائِشَةَ رضي الله عنها.

(٢) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ الْحَجِّ: بَابُ فَضْلِ الْمَدِينَةِ، وَدُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ فِيهَا بِالْبَرَكَةِ...، (١٣٧٣).

وَقَدْ تَكَفَّلَ اللهُ -تَعَالَىٰ- بِحِفْظِهَا مِنْ كُلِّ قَاصِدٍ إِيَّاهَا بِسُوءٍ، تَوَعَّدَ النَّبِيُّ ﷺ مَنْ أَحْدَثَ فِيهَا حَدَثًا، أَوْ آوَىٰ فِيهَا مُحْدِثًا، أَوْ أَخَافَ أَهْلَهَا؛ تَوَعَّدَهُ بِلَعْنَةِ اللهِ وَعَذَابِهِ، وَبِالْهَلَاكِ الْعَاجِلِ.

عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا يَكِيدُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ أَحَدٌ إِلَّا انْمَاعَ كَمَا يَنْمَاعُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ**»(١). أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ.

«**انْمَاعَ**» أَيْ: ذَابَ وَسَالَ.

هَذِهِ الْفَضَائِلُ الْعَظِيمَةُ جَعَلَتِ الصَّحَابَةَ رضي الله عنهم يَتَعَلَّقُونَ بِهَا، فَيَحْرِصُونَ عَلَىٰ الْهِجْرَةِ إِلَيْهَا وَالْمُقَامِ فِيهَا، وَبِذَلِكَ تَجَمَّعَتْ طَاقَاتُ الْأُمَّةِ فِيهَا، ثُمَّ تَوَجَّهَتْ نَحْوَ الْقَضَاءِ عَلَىٰ الشِّرْكِ بِأَنْوَاعِهِ، وَالْكُفْرِ بِأَشْكَالِهِ، وَفَتَحُوا مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا رضي الله عنهم.(*).

رَوَىٰ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ»(٣) بِسَنَدِهِ عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها **قَالَتْ**: «لَمْ أَعْقِلْ أَبَوَيَّ قَطُّ إِلَّا وَهُمَا يَدِينَانِ الدِّينَ».

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ فَضَائِلِ المَدِينَةِ: بَابُ إِثْمِ مَنْ كَادَ أَهْلَ المَدِينَةِ، (١٨٧٧)، وَمُسْلِمٌ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ الْحَجِّ: بَابُ مَنْ أَرَادَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ بِسُوءٍ أَذَابَهُ اللهُ، (١٣٨٧).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ سِلْسِلَة: «السِّيرَةُ النَّبَوِيَّةُ» (الْمُحَاضَرَةُ الثَّالِثَةُ وَالْعِشْرُونَ: الْهِجْرَةُ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ وَأَسْبَابُهَا»، السَّبْتُ ٥ مِنَ الْمُحَرَّمِ ١٤٤٠هـ/ ١٥-٩-٢٠١٨م.

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ مَنَاقِبِ الأَنْصَارِ: بَابُ هِجْرَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ إِلَىٰ المَدِينَةِ، (٣٩٠٥).

«لَمْ أَعْقِلْ أَبَوَيَّ» يَعْنِي: أَبَا بَكْرٍ وَأُمَّ رُومَانَ، «إِلَّا وَهُمَا يَدِينَانِ الدِّينَ» أَيْ: يَدِينَانِ بِدِينِ الْإِسْلَامِ.

«وَلَمْ يَمُرَّ عَلَيْنَا يَوْمٌ إِلَّا يَأْتِينَا فِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ طَرَفَيِ النَّهَارِ، بُكْرَةً وَعَشِيَّةً»

قَالَتْ رضي الله عنها: «فَبَيْنَمَا نَحْنُ يَوْمًا جُلُوسٌ فِي بَيْتِ أَبِي بَكْرٍ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ -أَيْ: فِي أَوَّلِ الزَّوَالِ، وَهُوَ أَشَدُّ مَا يَكُونُ فِي حَرَارَةِ النَّهَارِ، وَالْغَالِبُ فِي أَيَّامِ الْحَرِّ الْقَيْلُولَةُ فِيهَا- قَالَ قَائِلٌ لِأَبِي بَكْرٍ -وَالظَّاهِرُ أَنَّ الْقَائِلَ ابْنَتُهُ أَسْمَاءُ رضي الله عنها- قَالَ قَائِلٌ لِأَبِي بَكْرٍ: هَذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مُتَقَنِّعًا -أَيْ: مُغَطِّيًا رَأْسَهُ- فِي سَاعَةٍ لَمْ يَكُنْ يَأْتِينَا فِيهَا».

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: «فِدَاءٌ لَهُ أَبِي وَأُمِّي، وَاللهِ مَا جَاءَ بِهِ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ إِلَّا أَمْرٌ».

قَالَتْ عَائِشَةُ: «فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَاسْتَأْذَنَ فَأُذِنَ لَهُ، فَدَخَلَ، فَتَأَخَّرَ أَبُو بَكْرٍ عَنْ سَرِيرِهِ فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيْهِ، وَلَيْسَ عِنْدَ أَبِي بَكْرٍ إِلَّا أَنَا وَأُخْتِي أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَخْرِجْ عَنِّي مَنْ عِنْدَكَ**».

كَانَ النَّبِيُّ ﷺ حَرِيصًا عَلَىٰ كَتْمِ أَمْرِ الْهِجْرَةِ؛ خَشْيَةَ أَنْ يَنْتَشِرَ خَبَرُ هِجْرَتِهِ ﷺ؛ فَمِثْلُ هَذَا الْأَمْرِ الْعَظِيمِ يَتَطَلَّبُ الْحَذَرَ الشَّدِيدَ وَكِتْمَانَ الْأَمْرِ.

فَقَالَ لِأَبِي بَكْرٍ: «**أَخْرِجْ مَنْ عِنْدَكَ**».

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: «إِنَّمَا هُمْ أَهْلُكَ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ».

كَانَ النَّبِيُّ ﷺ قَدْ عَقَدَ عَلَىٰ عَائِشَةَ رضي الله عنها، وَأَمَّا أَسْمَاءُ فَصَارَتْ بِمَنْزِلَةِ الْأَهْلِ بَعْدَ زَوَاجِ أُخْتِهَا، وَرُبَّمَا أَرَادَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه تَنْزِيلَ أَهْلِهِ مَنْزِلَةَ أَهْلِ النَّبِيِّ ﷺ.

وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ إِسْحَاقَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ: «يَا رَسُولَ اللهِ! إِنَّمَا هُمَا ابْنَتَايَ».

قَالَ: «إِنَّمَا هُمْ أَهْلُكَ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ».

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**فَإِنِّي قَدْ أُذِنَ لِي فِي الْخُرُوجِ وَالْهِجْرَةِ**».

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: «يَا رَسُولَ اللهِ! الصُّحْبَةُ؟».

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الصُّحْبَةُ**».

وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَىٰ لِلْبُخَارِيِّ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**نَعَمْ**».

قَالَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها: «فَرَأَيْتُ أَبَا بَكْرٍ يَبْكِي، وَمَا كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّ أَحَدًا يَبْكِي مِنَ الْفَرَحِ حَتَّىٰ رَأَيْتُ أَبَا بَكْرٍ يَوْمَئِذٍ يَبْكِي مِنَ الْفَرَحِ».

ثُمَّ قَالَ أَبُو بَكْرٍ: «يَا رَسُولَ اللهِ! عِنْدِي نَاقَتَانِ قَدْ كُنْتُ أَعْدَدْتُهُمَا لِلْخُرُوجِ؛ فَخُذْ إِحْدَىٰ رَاحِلَتَيَّ هَاتَيْنِ».

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**بِالثَّمَنِ**».

اشْتَرَطَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَكُونَ أَخْذُ النَّاقَةِ بِالثَّمَنِ، مَعَ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ أَنْفَقَ مَالَهُ كُلَّهُ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ لِأَنَّهُ أَحَبَّ أَنْ تَكُونَ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ رَغْبَةً مِنْهُ ﷺ فِي اسْتِكْمَالِ فَضْلِ الْهِجْرَةِ وَفِي الْجِهَادِ عَلَىٰ أَتَمِّ الْأَحْوَالِ.

فَأَعْطَىٰ النَّبِيَّ ﷺ إِحْدَاهُمَا، وَهِيَ الْجَدْعَاءُ.

وَاسْتَأْجَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه عَبْدَ اللهِ بْنَ أُرَيْقِطٍ -رَجُلًا مِنْ بَنِي الدِّيَلِ بْنِ بَكْرٍ- هَادِيًا خِرِّيتًا -وَالْخِرِّيتُ: الْمَاهِرُ بِالْهِدَايَةِ، أَيْ: هِدَايَةِ الطَّرِيقِ-

وَهُوَ عَلَىٰ دِينِ كُفَّارِ قُرَيْشٍ، فَأَمِنَاهُ، فَدَفَعَا إِلَيْهِ رَاحِلَتَيْهِمَا، وَوَاعَدَاهُ غَارَ ثَوْرٍ بَعْدَ ثَلَاثِ لَيَالٍ رَاحِلَتَيْهِمَا اللَّتَيْنِ أَعَدَّهُمَا أَبُو بَكْرٍ لِلْهِجْرَةِ». أَخْرَجَ ذَلِكَ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ».

كَانَتْ قُرَيْشٌ رَغْمَ عَدَائِهَا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَرَمْيِهِ عَنْ قَوْسٍ وَاحِدَةٍ عَظِيمَةَ الثِّقَةِ بِأَمَانَتِهِ وَصِدْقِهِ وَفُتُوَّتِهِ؛ فَلَيْسَ بِمَكَّةَ أَحَدٌ عِنْدَهُ شَيْءٌ يَخْشَىٰ عَلَيْهِ إِلَّا وَضَعَهُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ لِثِقَتِهِ بِهِ، فَكَانَ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ الشَّيْءُ الْكَثِيرُ مِنْ هَذِهِ الْوَدَائِعِ وَالْأَمَانَاتِ، فَأَمَرَ عَلِيًّا رضي الله عنه بِأَنْ يَتَخَلَّفَ بِمَكَّةَ؛ حَتَّىٰ يُؤَدِّيَهَا عَنْهُ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣].

رَجَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَنْتَظِرُ مَجِيءَ اللَّيْلِ وَهُوَ عَلَىٰ عِلْمٍ بِمَا ائْتَمَرَتْ بِهِ قُرَيْشٌ مِنَ الْمَكْرِ، فَلَمَّا كَانَتْ عَتْمَةُ اللَّيْلِ -أَيْ: ظُلْمَتُهُ- اجْتَمَعَ كُفَّارُ قُرَيْشٍ عَلَىٰ بَابِ النَّبِيِّ ﷺ يَرْصُدُونَهُ مَتَىٰ يَنَامُ، فَيَثِبُونَ عَلَيْهِ، وَهُمْ: أَبُو جَهْلِ بْنُ هِشَامٍ، وَالْحَكَمُ بْنُ أَبِي الْعَاصِ، وَعُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ، وَأُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ، وَزَمْعَةُ بْنُ الْأَسْوَدِ، وَطُعَيْمَةُ بْنُ عَدِيٍّ، وَأَبُو لَهَبٍ، وَأُبَيُّ بْنُ خَلَفٍ، وَنُبَيْهُ بْنُ الْحَجَّاجِ.

كَانُوا عَلَىٰ ثِقَةٍ وَيَقِينٍ جَازِمٍ مِنْ نَجَاحِ مُؤَامَرَاتِهِمُ الدَّنِيئَةِ؛ حَتَّىٰ وَقَفَ أَبُو جَهْلٍ وَقْفَةَ الْخُيَلَاءِ، وَقَالَ مُخَاطِبًا لِأَصْحَابِهِ الْمُطَوِّقِينَ فِي سُخْرِيَةٍ وَاسْتِهْزَاءٍ: إِنَّ مُحَمَّدًا يَزْعُمُ أَنَّكُمْ إِنْ تَابَعْتُمُوهُ عَلَىٰ أَمْرِهِ كُنْتُمْ مُلُوكَ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ، ثُمَّ بُعِثْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ، فَجُعِلَتْ لَكُمْ جِنَانٌ كَجِنَانِ الْأُرْدُنِّ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا كَانَ لَهُ فِيكُمْ ذَبْحٌ، ثُمَّ بُعِثْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ، ثُمَّ جُعِلَتْ لَكُمْ نَارٌ تُحْرَقُونَ فِيهَا.

لَمَّا رَأَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَكَانَهُمْ؛ قَالَ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه: «**نَمْ عَلَىٰ فِرَاشِي، وَتَسَجَّ بِبُرْدِي** -تَسَجَّ بِالْبُرْدِ أَيْ: تَغَطَّ بِهِ، وَالْبُرْدُ: نَوْعٌ مِنَ الثِّيَابِ، وَالْبُرْدَةُ: كِسَاءٌ أَسْوَدُ-، **وَتَسَجَّ بِبُرْدِي هَذَا الْحَضْرَمِيِّ الْأَخْضَرِ؛ فَإِنَّهُ لَنْ يَخْلُصَ إِلَيْكَ شَيْءٌ تَكْرَهُهُ مِنْهُمْ**».

وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَنَامُ فِي بُرْدِهِ ذَلِكَ إِذَا نَامَ.

ثُمَّ أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ عَلِيًّا بِخُرُوجِهِ مَعَ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه»[1]. ذُكِرَ ذَلِكَ فِي «الطَّبَقَاتِ» لِابْنِ سَعْدٍ، وَفِي «السِّيرَةِ» لِابْنِ هِشَامٍ، وَفِي «دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ» لِلْبَيْهَقِيِّ.

وَمَعَ غَايَةِ اسْتِعْدَادِ قُرَيْشٍ لِتَنْفِيذِ خُطَّتِهِمْ خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَقَدْ أَخَذَ اللهُ أَبْصَارَهُمْ عَنْهُ فَلَا يَرَوْنَهُ، وَأَخَذَ ﷺ حَفْنَةً مِنْ تُرَابٍ فِي يَدِهِ، فَجَعَلَ يَنْثُرُهُ عَلَىٰ رُؤُوسِهِمْ وَهُوَ يَتْلُو قَوْلَهُ تَعَالَىٰ: ﴿يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٣ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٤ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝٥ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ۝٦ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٧ إِنَّا جَعَلْنَا فِيٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ۝٨ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يس: ١ - ٩].

---

(١) ذكره ابْنُ إِسْحَاقَ فِي «**السِّيرَةِ**»: اخْتِصَارِ ابْنِ هِشَامٍ (١/ ٤٨٣) وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «**دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ**»: (٢/ ٤٦٩).

وَأَخْرَجَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ فِي «**السِّيرَةِ**»: اخْتِصَارِ ابْنِ هِشَامٍ (١/ ٤٨٢)، وَأَحْمَدُ فِي «**الْمُسْنَدِ**»: (١/ ٣٤٨، رقم ٣٢٥١)، وَالطَّبَرَانِيُّ فِي «**الْكَبِيرِ**»: (١١/ ٤٠٧، رقم ١٢١٥٥)، وَالطَّبَرِيُّ فِي «تَارِيخِ»: (٢/ ٣٧٠-٣٧٣)، وَأَبُو نُعَيْمٍ فِي «**الدَّلَائِلِ**»: (ص٢٠٠، رقم ١٥٤)، مِنْ حَدِيثِ: ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما.

حَتَّىٰ إِذَا فَرَغَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا وَقَدْ وَضَعَ عَلَىٰ رَأْسِهِ تُرَابًا؛ مَضَىٰ إِلَىٰ بَيْتِ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه.

وَبَقِيَ الْمُشْرِكُونَ يَنْتَظِرُونَ خُرُوجَ الرَّسُولِ ﷺ، وَقَدْ خَرَجَ، وَأَعْمَىٰ اللهُ أَعْيُنَهُمْ عَنْهُ.

غَادَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَنْزِلَهُ إِلَىٰ مَنْزِلِ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه يَتَرَقَّبُ وُصُولَ الرَّسُولِ ﷺ فِي أَيَّةِ سَاعَةٍ بَعْدَ أَنِ اتَّفَقَا عَلَىٰ الصُّحْبَةِ فِي الْهِجْرَةِ.

فَلَمَّا وَصَلَ الرَّسُولُ ﷺ إِلَىٰ بَيْتِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه؛ كَانَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه قَدْ أَعَدَّ لِلسَّفَرِ عُدَّتَهُ.

قَالَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها(١): «فَجَهَّزْنَاهُمَا أَحَثَّ الْجَهَازِ -مِنَ الْحَثِّ، وَهُوَ الْإِسْرَاعُ، وَالْجَهَازُ -بِفَتْحِ الْجِيمِ، وَقَدْ تُكْسَرُ: الْجِهَازُ-: هُوَ مَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي السَّفَرِ-، فَجَهَّزْنَاهُمَا أَحَثَّ الْجَهَازِ، وَفِي اللَّيْلِ خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه مِنْ خَوْخَةٍ لِأَبِي بَكْرٍ فِي ظَهْرِ بَيْتِهِ؛ حَتَّىٰ لَا يَرَاهُمَا أَحَدٌ -وَالْخَوْخَةُ: بَابٌ صَغِيرٌ كَالنَّافِذَةِ الْكَبِيرَةِ تَكُونُ فِي الْجِدَارِ، فَخَرَجَا مِنْ تِلْكَ الْخَوْخَةِ فِي ظَهْرِ بَيْتِ أَبِي بَكْرٍ، حَتَّىٰ لَا يَرَاهُمَا أَحَدٌ-، وَسَلَكَا طَرِيقًا غَيْرَ مَعْهُودَةٍ، فَبَدَلًا مِنْ أَنْ يَسِيرَا نَحْوَ الشَّمَالِ ذَهَبَا إِلَىٰ الْجَنُوبِ؛ حَيْثُ يُوجَدُ غَارُ ثَوْرٍ -وَهُوَ جَبَلٌ وَفِيهِ الْغَارُ-، اخْتَارَهُ الرَّسُولُ ﷺ؛ لِيَأْوِيَ إِلَيْهِ لِتَضْلِيلِ الْمُشْرِكِينَ؛ ذَلِكَ لِأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ قُرَيْشًا سَتَجِدُّ فِي طَلَبِهِ، وَأَنَّ الطَّرِيقَ الَّذِي سَتَتَّجِهُ إِلَيْهِ الْأَنْظَارُ أَوَّلَ وَهْلَةٍ هُوَ طَرِيقُ

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ مَنَاقِبِ الأَنْصَارِ: بَابُ هِجْرَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ إِلَىٰ المَدِينَةِ، (٣٩٠٥).

الْمَدِينَةِ الرَّئِيسُ الْمُتَّجِهُ شَمَالًا؛ فَقَدْ سَلَكَ الطَّرِيقَ الَّذِي يُضَادُّهُ تَمَامًا، وَهُوَ الطَّرِيقُ الْوَاقِعُ جَنُوبَ مَكَّةَ.

وَلَمَّا خَرَجَ الرَّسُولُ ﷺ مِنْ مَكَّةَ؛ أَخَذَ يَنْظُرُ إِلَىٰ مَكَّةَ نَظْرَةَ الْوَدَاعِ وَهُوَ يَقُولُ: «**وَاللهِ إِنَّكِ لَخَيْرُ أَرْضِ اللهِ، وَأَحَبُّ أَرْضِ اللهِ إِلَىٰ اللهِ، وَلَوْ لَا أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكِ مَا خَرَجْتُ**»(١). أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ، وَابْنُ مَاجَه بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

وَرَوَىٰ ابْنُ حِبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ»، وَالتِّرْمِذِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا أَطْيَبَكِ مِنْ بَلْدَةٍ وَأَحَبَّكِ إِلَيَّ! وَلَوْ لَا أَنَّ قَوْمِي أَخْرَجُونِي مِنْكِ مَا سَكَنْتُ غَيْرَكِ**»(٢).

وَلَقَدْ بَشَّرَ اللهُ -تَعَالَىٰ- رَسُولَهُ ﷺ بِأَنَّهُ سَيُرْجِعُهُ إِلَىٰ مَكَّةَ مُنْتَصِرًا، فَأَنْزَلَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [القصص: ٨٥].

---

(١) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي «**الْمُسْنَدِ**»: (٤/ ٣٠٥، رقم ١٨٧١٥)، وَالتِّرْمِذِيُّ فِي «**الْجَامِعِ**»: أَبْوَابُ الْمَنَاقِبِ: بَابٌ فِي فَضْلِ مَكَّةَ، (٣٩٢٥)، وَابْنُ مَاجَهْ فِي «**السُّنَنِ**»: كِتَابُ الْمَنَاسِكِ: بَابُ فَضْلِ مَكَّةَ، (٣١٠٨)، عَبْدَ اللهِ بْنَ عَدِيِّ بْنِ الْحَمْرَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.
قَالَ التِّرْمِذِيُّ: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ»، وَكَذَا صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «**الثَّمَرِ الْمُسْتَطَابِ**»: (١/ ٥٠٩).

(٢)أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي «**الْجَامِعِ**»: أَبْوَابُ الْمَنَاقِبِ: بَابٌ فِي فَضْلِ مَكَّةَ، (٣٩٢٦)، وَابْنُ حِبَّانَ فِي «**الصَّحِيحِ**»: بِتَرْتِيبِ ابْنِ بَلْبَانَ (٩/ ٢٣، رقم ٣٧٠٩).
قَالَ التِّرْمِذِيُّ: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الوَجْهِ»، وصَحَّحَ إِسْنَادَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي هَامِشِ «مِشْكَاةِ الْمَصَابِيحِ»: (٢/ ٨٣٢، رقم ٢٧٢٤).

رَوَىٰ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ»(١) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: «﴿إِلَىٰ مَعَادٍ﴾، قَالَ: إِلَىٰ مَكَّةَ».

وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ(٢): «خَتَمَ اللهُ السُّورَةَ -يُرِيدُ سُورَةَ الْقَصَصِ- بِبِشَارَةِ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ بِرَدِّهِ إِلَىٰ مَكَّةَ قَاهِرًا أَعْدَاءَهُ».

رَوَىٰ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» بِسَنَدِهِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّهَا قَالَتْ فِي الْحَدِيثِ الطَّوِيلِ حَدِيثِ الْهِجْرَةِ: «ثُمَّ لَحِقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ بِغَارٍ فِي جَبَلِ ثَوْرٍ، فَكَمَنَا -أَيِ: اخْتَفَيَا- فِيهِ ثَلَاثَ لَيَالٍ»(٣)»(٤).

لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُخْتَفِيًا مَعَ صَفِيِّهِ شَيْخِ الْمُسْلِمِينَ وَصِدِّيقِ الْأُمَّةِ أَبِي بَكْرٍ.. لَمْ يَخْتَفِيَا مِنْ ضَعْفٍ وَلَا جُبْنٍ -حَاشَاهُمَا-، وَلَكِنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ كَالْقَائِدِ الْمُسَافِرِ لِيُدِيرَ الْمَعْرَكَةَ الْكُبْرَىٰ؛ فَهَلْ يُظْهِرُ نَفْسَهُ، وَيَقِفُ عَلَىٰ الطَّرِيقِ لِيُحَارِبَ فَصِيلَةً لَحِقَتْ بِهِ، فَيَظْفَرَ عَلَيْهَا، وَيُعَطِّلَ الْمَعْرَكَةَ الْكُبْرَىٰ؟!!

إِنَّ الْمَعْرَكَةَ الْكُبْرَىٰ كَانَتْ تَنْتَظِرُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، تَنْتَظِرُهُ مَعَارِكُ أَكْبَرُ، تَنْتَظِرُهُ بَدْرٌ، وَالْفَتْحُ، وَهَوَازِنُ، وَالْقَادِسِيَّةُ، وَالْيَرْمُوكُ، وَجَبَلُ طَارِقٍ، وَمَعَارِكُ الْفَتْحِ الْإِسْلَامِيِّ الَّتِي امْتَدَّتْ مِنْ بَعْدِهِ، وَهِيَ سِلْسِلَةٌ مُظَفَّرَةٌ خَيِّرَةٌ نَثَرَتْ شُهَدَاءَ الْحَقِّ فِي

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ: بَابُ ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ﴾، (٤٧٧٣).

(٢) «**الْجَامِعُ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ**»: (١٣/ ٣٢١).

(٣) سَبَقَ وَتَقَدَّمَ تَخْرِيجُهُ، (٣٩٠٥).

(٤) «**اللؤلؤ المكنون في سيرة النبي المأمون**»: (٢/ ٣٧-٤٧)، باختصار يسير.

كُلِّ أَرْضٍ، وَنَصَبَتْ رَايَةَ الْعَدْلِ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ، وَأَضَاءَتْ بِالْإِسْلَامِ الْقُلُوبَ وَالْبِلَادَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، تَنْتَظِرُهُ ﷺ الْمَعْرَكَةُ مَعَ الْجَهْلِ، وَالْفَقْرِ، وَالظُّلْمِ، وَالْفُسُوقِ، وَسَائِرِ الْأَوْضَاعِ الْخُلُقِيَّةِ الَّتِي جَاءَ لِيُطَهِّرَ الْمُجْتَمَعَ الْبَشَرِيَّ مِنْ آثَارِهَا وَأَوْضَارِهَا.

فَلَمَّا انْتَهَيَا إِلَىٰ الْغَارِ قَالَ أَبُو بَكْرٍ لِلنَّبِيِّ ﷺ: «مَكَانَكَ يَا رَسُولَ اللهِ حَتَّىٰ أَسْتَبْرِئَ -أَيْ: حَتَّىٰ أَخْتَبِرَ وَأَنْظُرَ- لَكَ الْغَارَ، فَدَخَلَ وَاسْتَبْرَأَهُ، ثُمَّ تَذَكَّرَ أَنَّهُ لَمْ يَسْتَبْرِئِ الْجُحْرَ الَّذِي فِيهِ، فَقَالَ: مَكَانَكَ يَا رَسُولَ اللهِ حَتَّىٰ أَسْتَبْرِئَ».

فَدَخَلَ فَاسْتَبْرَأَ، ثُمَّ قَالَ: «انْزِلْ يَا رَسُولَ اللهِ». فَنَزَلَ الرَّسُولُ ﷺ فِي الْغَارِ»[1]. أَخْرَجَ ذَلِكَ الْبَيْهَقِيُّ فِي «الدَّلَائِلِ» بِإِسْنَادٍ مُرْسَلٍ؛ لِأَنَّهُ مَوْقُوفٌ عَلَىٰ ابْنِ سِيرِينَ، وَابْنُ سِيرِينَ لَمْ يُدْرِكْ عُمَرَ، وَأَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ، وَقَالَ: حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ عَلَىٰ شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ لَوْ لَا إِرْسَالٌ فِيهِ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ، وَوَافَقَهُ الذَّهَبِيُّ.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ[2]: «فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه قَبْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَلَمَسَ الْغَارَ؛ لِيَنْظُرَ أَفِيهِ سَبُعٌ أَوْ حَيَّةٌ، يَقِي رَسُولَ اللهِ ﷺ بِنَفْسِهِ».

وَكَانَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنهما **يَبِيتُ عِنْدَهُمَا**، وَهُوَ غُلَامٌ شَابٌّ ثَقِفٌ -أَيْ: ذُو فِطْنَةٍ وَذَكَاءٍ- لَقِنٌ -أَيْ: سَرِيعُ الْفَهْمِ-، فَيُدْلِجُ -أَيْ: يَخْرُجُ- بِسَحَرٍ إِلَىٰ مَكَّةَ، فَيُدْلِجُ مِنْ عِنْدِهِمَا بِسَحَرٍ، فَيُصْبِحُ مَعَ قُرَيْشٍ بِمَكَّةَ كَبَائِتٍ -أَيْ:

---

(١) أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ فِي «**الْمُسْتَدْرَكِ**»: (٣/ ٧، رقم ٤٢٦٨)، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «**دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ**»: (٢/ ٤٧٦).

(٢) في مختصر «**السيرة**» لابن إسحاق (١/ ٤٨٦).

كَبَائِتٍ مَعَهُمَا-، فَلَا يَسْمَعُ أَمْرًا يُكْتَادَانِ بِهِ -أَيْ: يُطْلَبُ لَهُمَا فِيهِ الْمَكْرُوهُ، وَهُوَ مِنَ الْكَيْدِ- فَلَا يَسْمَعُ أَمْرًا يُكْتَادَانِ بِهِ إِلَّا وَعَاهُ حَتَّىٰ يَأْتِيَهُمَا بِخَبَرِ ذَلِكَ حِينَ يَخْتَلِطُ الظَّلَامُ.

وَيَرْعَىٰ عَلَيْهِمَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ مَوْلَىٰ أَبِي بَكْرٍ مِنْحَةً مِنْ غَنَمٍ -وَهِيَ غَنَمٌ فِيهَا لَبَنٌ-، فَيُرِيحُهَا عَلَيْهِمَا حِينَ تَذْهَبُ سَاعَةٌ مِنَ العِشَاءِ، فَيَبِيتَانِ -أَيْ: رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ- فِي رِسْلٍ -وَالرِّسْلُ بِكَسْرِ الرَّاءِ: اللَّبَنُ الطَّرِيُّ-.

ثُمَّ يَسْرَحُ عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ رضي الله عنه فَيُصْبِحُ فِي رِعْيَانِ النَّاسِ كَبَائِتٍ، فلَا يُفْطَنُ بِهِ، يَفْعَلُ ذَلِكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ تِلْكَ اللَّيَالِي الثَّلَاثِ فِي الْغَارِ». كَمَا ذَكَرَ ذَلِكَ الْبُخَارِيُّ(١).

وَكَانَ عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ رضي الله عنه يَتْبَعُ بِغَنَمِهِ أَثَرَ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ بَعْدَ ذَهَابِهِ إِلَىٰ مَكَّةَ؛ لِيُعَفِّيَ عَلَيْهِ -عَفَا الْأَثَرُ أَيْ: دَرَسَ وَانْمَحَىٰ-.

وَكَانَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنهما تَأْتِيهِمَا بِالطَّعَامِ.

رَوَىٰ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» عَنْ أَسْمَاءَ رضي الله عنها قَالَتْ: «صَنَعْتُ سُفْرَةً لِلنَّبِيِّ ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ حِينَ أَرَادَا المَدِينَةَ -السُّفْرَةُ: طَعَامٌ يَتَّخِذُهُ الْمُسَافِرُ، وَأَكْثَرُ مَا يُحْمَلُ فِي جِلْدٍ مُسْتَدِيرٍ، فَنُقِلَ اسْمُ الطَّعَامِ إِلَىٰ الْجِلْدِ، وَسُمِّيَ الْجِلْدُ بِهِ-، صَنَعْتُ سُفْرَةً لِلنَّبِيِّ ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ حِينَ أَرَادَا المَدِينَةَ، فَقُلْتُ لِأَبِي: مَا أَجِدُ شَيْئًا أَرْبِطُهُ -أَيِ: الْمَتَاعَ الَّذِي فِي السُّفْرَةِ، أَوْ أَرَادَتْ رَأْسَ السُّفْرَةِ، وَهُوَ الْجِلْدُ كَمَا

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ: (٣٩٠٥).

مَرَّ- مَا أَجِدُ شَيْئًا أَرْبِطُهُ إِلَّا نِطَاقِي -وَهُوَ مَا تَشُدُّ بِهِ الْمَرْأَةُ وَسَطَهَا؛ لِيَرْتَفِعَ بِهِ ثَوْبُهَا مِنَ الْأَرْضِ عِنْدَ الْمِهْنَةِ -أَيْ: عِنْدَ الْعَمَلِ-.

فَقَالَ: «فَشُقِّيهِ» أَيِ: النِّطَاقَ.

فَفَعَلْتُ، فَسُمِّيتُ ذَاتَ النِّطَاقَيْنِ».

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أَسْمَاءُ ذَاتُ النِّطَاقِ»(١). أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ.

فَنَرَىٰ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَخَّرَ كُلَّ مَا يَمْلِكُهُ مِنْ أَهْلٍ، وَمِنْ مَالٍ، وَمَوْلًىٰ عَلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هِجْرَتِهِ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ؛ فَأَيُّ فَضْلٍ هَذَا، وَأَيُّ شَرَفٍ هَذَا الَّذِي حَازَهُ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ!!

رَوَىٰ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» بِسَنَدٍ حَسَنٍ، وَالْحَاكِمُ عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **قَالَتْ**: «لَمَّا خَرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَخَرَجَ مَعَهُ أَبُو بَكْرٍ؛ احْتَمَلَ أَبُو بَكْرٍ مَالَهُ كُلَّهُ مَعَهُ؛ خَمْسَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ، أَوْ سِتَّةَ آلَافِ دِرْهَمٍ، قَالَتْ: «وَانْطَلَقَ بِهَا مَعَهُ».

قَالَتْ: «فَدَخَلَ عَلَيْنَا جَدِّي أَبُو قُحَافَةَ -وَهُوَ وَالِدُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَقَدْ أَسْلَمَ أَبُو قُحَافَةَ يَوْمَ الْفَتْحِ-، فَدَخَلَ عَلَيْنَا جَدِّي أَبُو قُحَافَةَ وَقَدْ ذَهَبَ بَصَرُهُ، فَقَالَ: وَاللهِ إِنِّي لَأَرَاهُ -يُرِيدُ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَدْ فَجَعَكُمْ بِمَالِهِ مَعَ نَفْسِهِ».

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ مَنَاقِبِ الأَنْصَارِ: بَابُ هِجْرَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ إِلَىٰ المَدِينَةِ، (٣٩٠٧).

قَالَتْ: قُلْتُ: «كَلَّا يَا أَبَتِ، إِنَّهُ قَدْ تَرَكَ لَنَا خَيْرًا كَثِيرًا».

قَالَتْ: «فَأَخَذْتُ أَحْجَارًا، فَوَضَعْتُهَا فِي كُوَّةٍ فِي الْبَيْتِ -وَالْكُوَّةُ: الْخَرْقُ فِي الْحَائِطِ، وَالثُّقْبُ فِي الْبَيْتِ- فَأَخَذْتُ أَحْجَارًا، فَوَضَعْتُهَا فِي كُوَّةٍ فِي الْبَيْتِ كَانَ أَبِي يَضَعُ فِيهَا مَالَهُ، ثُمَّ وَضَعْتُ عَلَيْهَا -أَيْ: عَلَىٰ الْأَحْجَارِ- ثَوْبًا، ثُمَّ أَخَذْتُ بِيَدِهِ -لِأَنَّهُ كَانَ قَدْ ذَهَبَ بَصَرُهُ رضي الله عنه- ثُمَّ أَخَذْتُ بِيَدِهِ، فَقُلْتُ: يَا أَبَتِ، ضَعْ يَدَكَ عَلَىٰ هَذَا الْمَالِ».

قَالَتْ: «فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: لَا بَأْسَ، إِنْ كَانَ قَدْ تَرَكَ لَكُمْ هَذَا فَقَدْ أَحْسَنَ، وَفِي هَذَا بَلَاغٌ لَكُمْ».

قَالَتْ أَسْمَاءُ: «وَلَا وَاللهِ! مَا تَرَكَ لَنَا شَيْئًا؛ وَلَكِنِّي قَدْ أَرَدْتُ أَنْ أُسَكِّنَ الشَّيْخَ بِذَلِكَ»(١). أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ، وَالْحَاكِمُ، وَالطَّبَرَانِيُّ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ، وَأَحْمَدُ بِسَنَدٍ حَسَنٍ.

أَخْرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ، وَابْنُ حِبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَلَىٰ شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا نَفَعَنِي مَالٌ قَطُّ مَا نَفَعَنِي مَالُ أَبِي بَكْرٍ**».

---

(١) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي «**الْمُسْنَدِ**»: (٦/ ٣٥٠، رقم ٢٦٩٥٧)، وَالطَّبَرَانِيُّ فِي «**الْكَبِيرِ**»: (٢٤/ ٨٨، رقم ٢٣٥)، وَالْحَاكِمُ فِي «**الْمُسْتَدْرَكِ**»: (٣/ ٦، رقم ٤٢٦٧).
قَالَ الْحَاكِمُ: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَىٰ شَرْطِ مُسْلِمٍ».

فَبَكَىٰ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه **وَقَالَ**: «هَلْ أَنَا وَمَالِي إِلَّا لَكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟»(١)(٢).

وَرَوَىٰ ابْنُ حِبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَلَىٰ شَرْطِ مُسْلِمٍ عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها **قَالَتْ**: «أَنْفَقَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَرْبَعِينَ أَلْفًا»(٣).

أَمَّا الْمُشْرِكُونَ، فَقَدْ بَقُوا يَنْتَظِرُونَ لِيَخْرُجَ الرَّسُولُ ﷺ مِنْ بَيْتِهِ، وَقَدْ خَرَجَ، وَأَعْمَىٰ اللهُ أَعْيُنَهُمْ عَنْهُ، فَمَا شَعَرُوا إِلَّا وَرَجُلٌ يَقُولُ لَهُمْ: «مَا تَنْتَظِرُونَ هَاهُنَا؟».

قَالُوا: «مُحَمَّدًا».

قَالَ: «خَيَّبَكُمْ اللهُ، قَدْ -وَاللهِ- خَرَجَ عَلَيْكُمْ مُحَمَّدٌ وَمَا تَرَكَ مِنْكُمْ رَجُلًا إِلَّا وَقَدْ وَضَعَ عَلَىٰ رَأْسِهِ تُرَابًا، وَانْطَلَقَ لِحَاجَتِهِ أَفَمَا تَرَوْنَ مَا بِكُمْ؟».

فَوَضَعَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ يَدَهُ عَلَىٰ رَأْسِهِ فَإِذَا عَلَيْهِ تُرَابٌ فَكَأَنَّهُمْ لَمْ يُصَدِّقُوا، فَجَعَلُوا يَتَطَلَّعُونَ مِنْ شِقِّ البَابِ فَيَرَوْنَ النَّائِمَ عَلَىٰ فِرَاشِهِ مُسَجًّىٰ بِبُرْدِ رَسُولِ اللهِ، فَيَقُولُونَ: وَاللهِ! إِنَّ هَذَا لَمُحَمَّدٌ نَائِمًا عَلَيْهِ بُرْدُهُ، فَمَا زَالُوا كَذَلِكَ حَتَّىٰ أَصْبَحُوا، وَكَشَفُوا الْبُرْدَ، فَإِذَا بِهِ عَلِيٌّ رضي الله عنه، فَقَالُوا: وَاللهِ لَقَدْ كَانَ صَدَقَنَا الَّذِي كَانَ حَدَّثَنَا،

---

(١) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي «**الْمُسْنَدِ**»: (٢/ ٢٥٤، رقم ٧٤٤٦)، وَابْنُ مَاجَهْ فِي «**السُّنَنِ**»: الْمُقَدِّمَةُ: فَضْلُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، (٩٤)، وَابْنُ حِبَّانَ فِي «**الصَّحِيحِ**»: بِتَرْتِيبِ ابْنِ بَلْبَانَ (١٥/ ٢٧٣، رقم ٦٨٥٨).

وَالْحَدِيثُ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «**الصَّحِيحَةِ**»: (٦/ ٤٨٨).

(٢) «اللؤلؤ المكنون في سيرة النبي المأمون»: (٢/ ٤٨-٥٢).

(٣) أَخْرَجَهُ ابْنُ حِبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ»: (٤٨٧٤)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «السِّلْسِلَةِ الصَّحِيحَةِ» (٦/ ٤٨٧).

فَسَأَلُوهُ: أَيْنَ صَاحِبُكَ؟ فَقَالَ: لَا أَدْرِي.

فَجُنَّ جُنُونُ قُرَيْشٍ حِينَمَا تَبَيَّنَ لَهَا خُرُوجُ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَصَاحِبِهِ، وَصَارُوا يَهِيمُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ طَلَبًا لَهُ، وَجَعَلُوا لِمَنْ يَأْتِي بِالنَّبِيِّ ﷺ مُكَافَأَةً ضَخْمَةً قَدْرُهَا مِائَةُ نَاقَةٍ، وَكَانَتْ ثَرْوَةً عَظِيمَةً.. هِيَ فِي هَذَا الْعَصْرِ ثَرْوَةٌ كَبِيرَةٌ فَكَيْفَ بِذَلِكَ الزَّمَانِ؟!! فَجَعَلُوا هَذِهِ الْمُكَافَأَةَ لِمَنْ يَأْتِي بِهِمَا إِلَىٰ قُرَيْشٍ حَيَّيْنِ أَوْ مَيِّتَيْنِ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

عِنْدَ ذَلِكَ رَكِبَ الْفُرْسَانُ وَقُصَّاصُ الْأَثَرِ فِي كُلِّ وَجْهٍ، وَانْتَشَرُوا فِي الْجِبَالِ وَالْوِدْيَانِ يَطْلُبُونَهُمَا -أَيِ الرَّسُولَ ﷺ وَأَبَا بَكْرٍ رضي الله عنه- وَاشْتَدَّ الطَّلَبُ، لَكِنْ بِدُونِ جَدْوَىٰ.

حَتَّىٰ انْتَهَوْا إِلَىٰ الْجَبَلِ الَّذِي فِيهِ الْغَارُ، وَصَعِدُوا الْجَبَلَ، وَوَصَلُوا إِلَىٰ فَمِ الْغَارِ، وَلَمْ يَبْقَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْعُثُورِ عَلَىٰ الرَّسُولِ ﷺ وَصَاحِبِهِ رضي الله عنه إِلَّا أَنْ يَنْظُرَ أَحَدُهُمْ إِلَىٰ تَحْتَ قَدَمَيْهِ.

كَانَتْ أَدَقَّ لَحْظَةٍ مَرَّتْ بِهَا الْإِنْسَانِيَّةُ فِي تَارِيخِهَا الْمَدِيدِ وَرِحْلَتِهَا الطَّوِيلَةِ، وَكَانَتْ لَحْظَةً حَاسِمَةً، فَإِمَّا امْتِدَادُ شَقَاءٍ لَا نِهَايَةَ لَهُ، وَإِمَّا افْتِتَاحُ سَعَادَةٍ لَا آخِرَ لَهَا، وَقَدْ حَبَسَتِ الْإِنْسَانِيَّةُ أَنْفَاسَهَا، وَوَقَفَتْ خَاشِعَةً حِينَ وَصَلَ الْبَاحِثُونَ إِلَىٰ فَمِ الْغَارِ، وَلَمْ يَبْقَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْعُثُورِ عَلَىٰ مَنْشُودِهِمْ إِلَّا أَنْ يَنْظُرَ أَحَدُهُمْ إِلَىٰ مَا تَحْتَ قَدَمَيْهِ، وَلَكِنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ- حَالَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ذَلِكَ.

رَوَىٰ الشَّيْخَانِ فِي «صَحِيحَيْهِمَا» عَنْ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه قَالَ: قُلْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: «لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ تَحْتَ قَدَمَيْهِ، لَأَبْصَرَنَا».

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**يَا أَبَا بَكْرٍ! مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا**»(١). **وَفِي رِوَايَةِ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ فِي «مَغَازِيهِ» قَالَ:** «وَأَتَىٰ الْمُشْرِكُونَ عَلَىٰ الْجَبَلِ الَّذِي فِيهِ الْغَارُ الَّذِي فِيهِ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّىٰ طَلَعُوا فَوْقَهُ، وَسَمِعَ أَبُو بَكْرٍ أَصْوَاتَهُمْ فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ الْهَمُّ وَالْخَوْفُ، فَعِنْدَ ذَلِكَ قَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا**».

وَدَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَنَزَلَتْ عَلَيْهِ السَّكِينَةُ، وَفِي هَذَا نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٤٠].

فَلَمَّا انْتَهَىٰ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارُ إِلَىٰ بَابِ الْغَارِ، قَالُوا: «هَاهُنَا انْقَطَعَ الْأَثَرُ، وَاخْتَلَطَ عَلَيْهِمُ الْأَمْرُ، فَانْصَرَفُوا».

وأَقَامَ الرَّسُولُ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه فِي الْغَارِ ثَلَاثَ لَيَالٍ، حَتَّىٰ إِذَا خَمِدَتْ عَنْهُمَا نَارُ الطَّلَبِ، وَسَكَن عَنْهُمَا النَّاسُ، جَاءَهُمَا عَبْدُ اللهِ بْنُ أُرَيْقِطٍ بِالرَّاحِلَتَيْنِ، فَارْتَحَلَا، وَانْطَلَقَ مَعَهُمَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ يَخْدُمُهُمَا. أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ.

وَكَانَ خُرُوجُ الرَّسُولِ ﷺ وَصَاحِبِهِ مِنَ الْغَارِ فِي آخِرِ لَيْلَةِ الِاثْنَيْنِ فِي السَّحْرِ لِأَرْبَعِ لَيَالٍ خَلَوْنَ مِنْ شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ.

ثُمَّ ارْتَحَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه وَارْتَحَلَ مَعَهُمَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٣٦٥٣)، وَمُسْلِمٌ (٢٣٨١).

رضي الله عنه أَرْدَفَهُ أَبُو بَكْرٍ خَلْفَهُ؛ لِيَخْدُمَهُمَا فِي الطَّرِيقِ، لَيْسَ مَعَهُمَا أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ سِوَاهُ وَسِوَىٰ الدَّلِيلِ عَبْدِ اللهِ بْنِ أُرَيْقِطٍ، فَانْطَلَقَ الْأَرْبَعَةُ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ.

طَرِيقُ هِجْرَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ خَشِنٌ عَسِرٌ فِيهِ وُعُورَةٌ وَصُعُوبَةٌ، مَعَ الطَّلَبِ وَالرَّصَدِ وَالْخَوْفِ وَالْقَلَقِ وَالتَّوَقُّعِ، غَيْرَ أَنَّ ذَلِكَ لَا أَثَرَ لَهُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

رَوَىٰ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه **قَالَ**: «أَقْبَلَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ وَهُوَ مُرْدِفٌ أَبَا بَكْرٍ وَأَبُو بَكْرٍ شَيْخٌ يُعْرَفُ، وَنَبِيُّ اللهِ ﷺ شَابٌّ لَا يُعْرَفُ».

أَرْدَفَهُ تَشْرِيفًا لَهُ وَتَنْوِيهًا بِقَدْرِهِ، وَإِلَّا فَقَدْ كَانَ لِأَبِي بَكْرٍ نَاقَةٌ هَاجَرَ عَلَيْهَا، وَأَبُو بَكْرٍ شَيْخٌ يُعْرَفُ وَنَبِيُّ اللهِ ﷺ شَابٌّ لَا يُعْرِفُ، يُرِيدُ أَنَّهُ -أَيْ: أَبَا بَكْرٍ- شَيْخٌ -أَيْ: قَدْ شَابَ- يُعْرَفُ؛ لِأَنَّ أَبَا بَكْرٍ رضي الله عنه كَانَ يَمُرُّ عَلَىٰ أَهْلِ الْمَدِينَةِ فِي سَفَرِ التِّجَارَةِ بِخِلَافِ النَّبِيِّ ﷺ فَإِنَّهُ كَانَ بَعِيدَ الْعَهْدِ بِالسَّفَرِ مِنْ مَكَّةَ.

رَوَىٰ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَلَىٰ شَرْطِ مُسْلِمٍ عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه **قَالَ**: «وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ يُعْرِفُ فِي الطَّرِيقِ لِاخْتِلَافِهِ إِلَىٰ الشَّامِ؛ لِأَنَّهُ كَانَ يُتَاجِرُ وَيُسَافِرُ فَكَانَ يُعْرِفُ».

وَأَمَّا قَوْلُهُ: «وأَبُو بَكْرٍ شَيْخٌ -لِأَنَّهُ كَانَ قَدْ شَابَ أَوْ ظَهَرَ الشَّيْبُ فِيهِ، فَشَيْخٌ يُعْرَفُ-، وَنَبِيُّ اللهِ ﷺ شَابٌّ لَا يُعْرَفُ».

كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَسَنَّ مِنْ أَبِي بَكْرٍ فَقَدْ مَاتَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ وَكَانَ قَدْ عَاشَ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ سَنَتَيْنِ وَأَشْهُرًا، فَيَلْزَمُ عَلَىٰ الصَّحِيحِ فِي

سِنِّ أَبِي بَكْرٍ أَنْ يَكُونَ أَصْغَرَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ بِأَكْثَرَ مِنْ سَنَتَيْنِ.

قَالَ: «فَيَلْقَىٰ الرَّجُلُ أَبَا بَكْرٍ فَيَقُولُ: يَا أَبَا بَكْرٍ! مَنْ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْكَ؟».

فَيَقُولُ: «هَذَا الرَّجُلُ يَهْدِينِي السَّبِيلَ، فَيَحْسِبُ الْحَاسِبُ أَنَّهُ إِنَّمَا يَهْدِيهِ الطَّرِيقَ، وَإِنَّمَا يَعْنِي سَبِيلَ الْخَيْرِ»(١). أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ.

رَوَىٰ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ «صَحِيحِهِ»(٢) **عَنْ سُرَاقَةَ بْنِ مَالِكٍ قَالَ**: «بَيْنَمَا أَنَا جَالِسٌ فِي مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ قَوْمِي بَنِي مُدْلِجٍ؛ إِذْ أَقْبَلَ رَجُلٌ مِنْهُمْ حَتَّىٰ قَامَ عَلَيْنَا وَنَحْنُ جُلُوسٌ، فَقَالَ: يَا سُرَاقَةُ! إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ آنِفًا أَسْوِدَةً بِالسَّاحِلِ -أَيْ: أَشْخَاصًا- أَرَاهَا مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ قَالَ سُرَاقَةُ فَعَرَفْتُ أَنَّهُمْ هُمْ، فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّهُمْ لَيْسُوا بِهِمْ، وَلَكِنَّكَ رَأَيْتَ فُلَانًا وَفُلَانًا انْطَلَقُوا يَبْتَغُونَ ضَالَّةً لَهُمْ.

فَقَالَ الرَّجُلُ: لَعَلَّ. وَسَكَتَ.

وَفِي إِنْكَارِ سُرَاقَةَ لِلسَّائِلِ مَا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّهُ أَرَادَ الْجَائِزَةَ لِنَفْسِهِ، وَهِيَ مِائَةُ نَاقَةٍ لِمَنْ يَأْتِي بِالنَّبِيِّ ﷺ وَصَاحِبِهِ حَيَّيْنِ أَوْ مَيِّتَيْنِ.

وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ إِسْحَاقَ قَالَ سُرَاقَةُ: «وَكُنْتُ أَرْجُو أَنْ أَرُدَّهُ عَلَىٰ قُرَيْشٍ فَآخُذَ الْمِائَةَ النَّاقَةَ».

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٣٩١١) مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه.
(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٣٩٠٦).

قَالَ سُرَاقَةُ: «ثُمَّ لَبِثْتُ فِي الْمَجْلِسِ سَاعَةً -يَعْنِي بَعْدَ هَذَا الْحِوَارِ- ثُمَّ قُمْتُ فَدَخَلْتُ فَأَمَرْتُ جَارِيَتِي أَنْ تَخْرُجَ لِي فَرَسِي، وَأَخَذْتُ رُمْحِي فَخَرَجْتُ بِهِ أَتْبَعُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَصَاحِبَهُ أَبَا بَكْرٍ رضي الله عنه.

قَالَ سُرَاقَةُ: فَلَمَّا دَنَوْتُ مِنْهُمْ حَيْثُ يُسْمِعُهُمُ الصَّوْتُ، عَثَرَتْ بِي فَرَسِي، فَخَرَرْتُ عَنْهَا، فَقُمْتُ، فَأَهْوَيْتُ بِيَدَيَّ إِلَىٰ كِنَانَتِي، فَاسْتَخْرَجْتُ مِنْهَا الْأَزْلَامَ، فَاسْتَقْسَمْتُ بِهَا، أَضُرُّهُمْ أَمْ لَا؟ فَخَرَجَ الَّذِي أَكْرَهُ: أَلَّا أَضُرَّهُمْ، فَرَكِبْتُ فَرَسِي، وَعَصَيْتُ الْأَزْلَامَ، فَرَفَعْتُهَا تُقَرِّبُ بِي، حَتَّىٰ إِذَا دَنَوْتُ مِنْهُمْ، عَثَرَتْ بِي فَرَسِي، فَخَرَرْتُ عَنْهَا، فَقُمْتُ، وَرَكِبْتُ فَرَسِي، حَتَّىٰ إِذَا دَنَوْتُ مِنْهُمْ وَسَمِعْتُ قِرَاءَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ لَا يَلْتَفِتُ، وَأَبُو بَكْرٍ يُكْثِرُ الِالْتِفَاتَ».

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: «يَا رَسُولَ اللهِ! هَذَا الطَّلَبُ قَدْ لَحِقَنَا -الطَّلَبُ: يُرِيدُ أَهْلَ الطَّلَبِ- هَذَا الطَّلَبُ قَدْ لَحِقَنَا».

فَقَالَ ﷺ: «**لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا**».

قَالَ سُرَاقَةُ: «حَتَّىٰ إِذَا دَنَوْتُ مِنْهُمْ فَكَانَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ قَدْرُ رُمْحٍ أَوْ رُمْحَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللهِ! هَذَا الطَّلَبُ قَدْ لَحِقَنَا. وَبَكَىٰ.

قَالَ: «**لِمَ تَبْكِي؟**».

قَالَ: قُلْتُ: «أَمَا وَاللهِ! مَا عَلَىٰ نَفْسِي أَبْكِي، وَلَكِنْ أَبْكِي عَلَيْكَ». قَالَ: فَدَعَا عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «**اللَّهُمَّ اكْفِنَاهُ بِمَا شِئْتَ**».

وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَىٰ فِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اللَّهُمَّ اصْرَعْهُ**».

فَاللَّهُمَّ اكْفِنَاهُمْ بِمَا شِئْتَ وَكَيْفَ شِئْتَ، اللَّهُمَّ اكْفِنَاهُمْ بِمَا شِئْتَ وَكَيْفَ شِئْتَ، اللَّهُمَّ اكْفِنَاهُمْ بِمَا شِئْتَ وَكَيْفَ شِئْتَ.

قَالَ سُرَاقَةُ: «فَسَاخَتْ -أَيْ: غَاصَتْ- يَدَا فَرَسِي فِي الْأَرْضِ حَتَّىٰ بَلَغَتَا الرُّكْبَتَيْنِ».

وَفِي رِوَايَةٍ عِنْدَ الْبُخَارِيِّ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: «فَصَرَعَهُ الْفَرَسُ ثُمَّ قَامَتْ تُحَمْحِمُ -وَالْحَمْحَمَةُ: صَوْتُ الْفَرَسِ دُونَ الصَّهِيلِ-».

«ثُمَّ زَجَرْتُهَا فَنَهَضَتْ، فَلَمْ تَكَدْ تُخْرِجُ يَدَيْهَا، فَلَمَّا اسْتَوَتْ قَائِمَةً إِذَا لِأَثَرِ يَدَيْهَا عُثَانٌ سَاطِعٌ فِي السَّمَاءِ مِثْلُ الدُّخَانِ. الْعُثَانُ أَيِ الدُّخَانُ.

قَالَ سُرَاقَةُ: فَاسْتَقْسَمْتُ بِالْأَزْلَامِ فَخَرَجَ الَّذِي أَكْرَهُ فَنَادَيْتُهُمْ بِالْأَمَانِ.

فِي «الصَّحِيحَيْنِ» فِي رِوَايَةٍ: قَالَ سُرَاقَةُ: «إِنِّي أَرَاكُمَا قَدْ دَعَوْتُمَا عَلَيَّ فَادْعُوا لِي! فَاللهُ لَكُمَا، أَنْ أَرُدَّ عَنْكُمَا الطَّلَبَ، فَدَعَا لَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَنَجَا.

نَادَيْتُهُمْ بِالْأَمَانِ فَوَقَفُوا، فَرَكِبْتُ فَرَسِي حَتَّىٰ جِئْتُهُمْ وَوَقَعَ فِي نَفْسِي حِينَ لَقِيتُ مَا لَقِيتُ مِنْ الْحَبْسِ عَنْهُمْ أَنْ سَيَظْهَرُ أَمْرُ رَسُولِ اللهِ ﷺ».

كَانَتْ حَرَكَةُ السِّيرَةِ مُسْتَمِرَّةً لَمْ يَتَوَقَّفْ الرَّكْبُ، النَّبِيُّ ﷺ مَاضٍ لِطِيَّتِهِ سَاعٍ لِبُغْيَتِهِ، وَالطَّلَبُ خَلْفَهُ، وَهَذَا يَحْدُثُ لِسُرَاقَةَ بِمَرْأَىٰ وَمَشْهَدٍ تَغُوصُ فَرَسُهُ فِي

جَلَدٍ -أَيْ: فِي أَرْضٍ صُلْبَةٍ فِي جَلَدٍ مِنَ الْأَرْضِ-، ثُمَّ تَخْرُجُ، ثُمَّ تَغُوصُ، فَتَخْرُجُ، وَالنَّبِيُّ مَاضٍ ﷺ لَا يُبَالِي بِهِ حَتَّىٰ نَادَىٰ بِالْأَمَانِ فَوَقَفُوا.

قَالَ: فَرِكِبْتُ فَرَسِي، حَيْثُ جِئْتُهُمْ يَقُولُ: فوَقَفُوا، كَانُوا مُتَحَرِّكِينَ لَا يَقِفُونَ، يَسِيرُونَ لَا يَتَوَقَّفُونَ.

فَرَكِبْتُ فَرَسِي حَتَّىٰ جِئْتُهُمْ وَوَقَعَ فِي نَفْسِي حِينَ لَقِيتُ مَا لَقِيتُ مِنْ الْحَبْسِ عَنْهُمْ أَنْ سَيَظْهَرُ أَمْرُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّ قَوْمَكَ قَدْ جَعَلُوا فِيكَ الدِّيَةَ، وَأَخْبَرْتُهُمْ أَخْبَارَ مَا يُرِيدُ النَّاسُ بِهِمْ، وَعَرَضْتُ عَلَيْهِمُ الزَّادَ وَالْمَتَاعَ، فَلَمْ يَرْزَأْنِي -أَيْ: لَمْ يَسْأَلَانِي وَلَمْ يَأْخُذَا مِنِّي شَيْئًا- وَلَمْ يَسْأَلْانِي إِلَّا أَنْ قَالَ: «**أَخْفِ عَنَّا**».

فِي رِوَايَةٍ أُخْرَىٰ عِنْدَ الْبُخَارِيِّ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا تَتْرُكُنَّ أَحَدًا يَلْحَقُ بِنَا**».

قَالَ سُرَاقَةُ: فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَكْتُبَ لِي كِتَابَ أَمَانٍ فَأَمَرَ عَامِرَ بْنَ فُهَيْرَةَ فَكَتَبَ فِي رُقْعَةٍ مِنْ أَدَمٍ -أَيْ: فِي رُقْعَةٍ مِنْ جِلْدٍ- ثُمَّ مَضَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ.

فَجَعَلَ سُرَاقَةُ لَا يَلْقَىٰ أَحَدًا إِلَّا قَالَ: كَفَيْتُكُمْ مَا هُنَا -يَعْنِي: قَدْ سِرْتُ فَلَمْ أَجِدْ أَحَدًا، فَلَا تَتَجَشَّمُوا الْمَشَقَّةَ وَلَا تَبْذُلُوا الْمَجْهُودَ- فَلَا يَلْقَىٰ أَحَدًا إِلَّا رَدَّهُ.

قَالَ: وَوَفَّىٰ لَنَا.

فَكَانَ أَوَّلَ النَّهَارِ جَاهِدًا عَلَىٰ نَبِيِّ اللهِ ﷺ، وَكَانَ آخِرَ النَّهَارِ مَسْلَحَةً لَهُ.

مُطَارَدَةُ سُرَاقَةَ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه لِلرَّسُولِ ﷺ ذَكَرَهَا الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَأَحْمَدُ وَابْنُ حِبَّانَ وَابْنُ إِسْحَاقَ.

أَكْمَلَ الرَّسُولُ ﷺ طَرِيقَهُ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ وَمَعَهُ صَاحِبُهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه وَعَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ رضي الله عنه، وَالدَّلِيلُ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُرَيْقِطٍ.

وَفِي الطَّرِيقِ مَرُّوا عَلَىٰ خَيْمَةِ أُمِّ مَعْبَدٍ الْخُزَاعِيَّةِ، وَكَانَ مَنْزِلُهَا بِقُدَيْدٍ -قُدَيْدٌ مُصَغَّرًا مَوْضِعٌ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ-، وَكَانَتِ امْرَأَةً بَرْزَةً -يُقَالُ: امْرَأَةٌ بَرْزَةٌ إِذَا كَانَتْ كَهْلَةً لَا تَحْتَجِبُ احْتِجَابَ الشَّوَابِّ، وَهِيَ مَعَ ذَلِكَ عَفِيفَةٌ عَاقِلَةٌ تَجْلِسُ لِلنَّاسِ وَتُحَدِّثُهُمْ مِنَ الْبُرُوزِ، بَرْزَةٌ: وَهُوَ الظُّهُورُ وَالْخُرُوجُ- وَكَانَتِ امْرَأَةً بَرْزَةً جَلْدَةً -أَيْ: قَوِيَّةً فِي نَفْسِهَا وَجِسْمِهَا- تَحْتَبِي بِفِنَاءِ الخَيْمَةِ -الِاحْتِبَاءُ أَنْ يَضُمَّ الْإِنْسَانُ رِجْلَيْهِ إِلَىٰ بَطْنِهِ بِثَوْبٍ يَجْمَعُهُمَا بِهِ مَعَ ظَهْرِهِ، وَيَشُدُّهُ عَلَيْهِ وَقَدْ يَكُونُ الِاحْتِبَاءُ بِالْيَدَيْنِ عِوَضَ الثَّوْبِ، بِفِنَاءِ -بِكَسْرِ الْفَاءِ- هُوَ الْمُتَّسَعُ أَمَامَ الدَّارِ- تَحْتَبِي بِفِنَاءِ الْخَيْمَةِ، ثُمَّ تَسْقِي وَتُطْعِمُ مَنْ مَرَّ بِهَا.

فَسَأَلَاهَا لَحْمًا وَتَمْرًا لِيَشْتَرُوا مِنْهَا، فَلَمْ يَجِدُوا عِنْدَهَا شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ، وَكَانَ الْقَوْمُ مُرْمِلِينَ مُسْنِتِينَ -مُرْمِلِينَ: أَيْ نَفِذَ زَادُهُمْ، وَأَصْلُهُ مِنَ الرَّمْلِ كَأَنَّهُمْ لَصِقُوا بِالرَّمْلِ يَعْنِي مِنْ عَدَمِ الْوِجْدَانِ، مُسْنِتِينَ أَيْ أَصَابَتْهُمُ السَّنَةُ، وَالسَّنَةُ: الْجَدْبُ، يُقَالُ: أَخَذَتْهُمُ السَّنَةُ إِذَا أَجْدَبُوا وَأَقْحَطُوا، وأُقحِطُوا- وَكَانَ القَوْمُ مُرْمِلِينَ مُسْنِتِينَ، فَنَظَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَىٰ شَاةٍ فِي جَانِبِ الْخَيْمَةِ، فَقَالَ: «**مَا هَذِهِ الشَّاةُ يَا أُمَّ مَعْبَدٍ؟**».

قَالَتْ: «شَاةٌ خَلَّفَهَا الْجَهْدُ عَنِ الْغَنَمِ».

الجَهْدُ -بِفَتْحِ الجِيمِ- المَشَقَّةُ.

قَالَ ﷺ: «**هَلْ بِهَا مِنْ لَبَنٍ؟**».

قَالَتْ: «هِيَ أَجْهَدُ مِنْ ذَلِكَ».

قَالَ ﷺ: «**أَتَأْذَنِينَ لِي أَنْ أَحْلِبَهَا؟**».

قَالَتْ: «إِنْ رَأَيْتَ بِهَا حَلَبًا فَاحْلِبْهَا».

فَدَعَا بِهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَمَسَحَ بِيَدِهِ ضَرْعَهَا، وَسَمَّىٰ اللهُ -تَعَالَىٰ-، وَدَعَا لَهَا فِي شَاتِهَا، فَتَفَاجَّتْ عَلَيْهِ -التَّفَاجُّ: الْمُبَالَغَةُ فِي تَفْرِيجِ مَا بَيْنَ الرِّجْلَيْنِ- وَدَرَّتْ فَاجْتَرَّتْ -هُوَ مَا يُخْرِجُهُ الْحَيَوَانُ مِنْ بَطْنِهِ لِيَمْضُغَهُ ثُمَّ لِيَبْلَعَهُ، يُرِيدُ الشَّاةَ- وَدَرَّتْ، فَاجْتَرَّتْ فَدَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِإِنَاءٍ يُرْبِضُ الرَّهْطُ -أَيْ: يُرْوِيهِمْ وَيُثْقِلُهُمْ، حَتَّىٰ يَنَامُوا وَيَمْتَدُّوا عَلَىٰ الْأَرْضِ- فَحَلَبَ فِيهِ ثَجًّا -أَيْ: لَبَنًا سَائِلًا كَثِيرًا- حَتَّىٰ عَلَاهُ الْبَهَاءُ أَرَادَ بَهَاءَ اللَّبَنِ وَهُوَ بَرِيقُ رَغْوَتِهِ- حَتَّىٰ عَلَاهُ الْبَهَاءُ، ثُمَّ سَقَاهَا حَتَّىٰ رَوِيَتْ وَسَقَىٰ أَصْحَابَهُ حَتَّىٰ رَوَوْا وَشَرِبَ آخِرَهُمْ حَتَّىٰ أَرَضُوا -أَيْ: شَرِبُوا حَتَّىٰ رَوَوْا-.

ثُمَّ حَلَبَ فِيهِ الثَّانِيَةَ عَلَىٰ هَدَّةٍ -وَالْهَدَّةُ: الصَّوْتُ الشَّدِيدُ- حَتَّىٰ مَلَأَ الْإِنَاءَ، ثُمَّ غَادَرَهُ عِنْدَهَا وَارْتَحَلُوا عَنْهَا.

فَقَلَّمَا لَبِثَتْ حَتَّىٰ جَاءَهَا زَوْجُهَا أَبُو مَعْبَدٍ يَسُوقُ أَعْنُزًا عِجَافًا -أَيْ: مَهْزُولَةً-، يَتَسَاوَكْنَ هُزَالًا -تَسَاوَكَتْ الْإِبِلُ: إِذَا اضْطَرَبَتْ أَعْنَاقُهَا مِنَ الْهُزَالِ، أَرَادَ أَنَّهَا تَتَمَايَلُ مِنْ ضَعْفِهَا- يَسُوقُ أَعْنُزًا عِجَافًا يَتَسَاوَكْنَ هُزَالًا، فَلَمَّا رَأَىٰ أَبُو مَعْبَدٍ اللَّبَنَ عَجِبَ، قَالَ: مِنْ أَيْنَ لَكِ هَذَا يَا أُمَّ مَعْبَدٍ وَالشَّاءُ عَازِبٌ حَائِلٌ، وَلَا

حَلُوبَ فِي الْبَيْتِ؟ -عَازِبٌ: أَيْ بَعِيدَةُ الْمَرْعَىٰ، حَائِلٌ لَمْ تَحْمِلْ، وَلَا حَلُوبَ أَيْ وَلَا شَاةَ تَحْلِبُ فِي الْبَيْتِ-.

قَالَتْ: لَا وَاللهِ! إِلَّا أَنَّهُ مَرَّ بِنَا رَجُلٌ مُبَارَكٌ مِنْ حَالِهِ كَذَا وَكَذَا، فَقَالَ: صِفِيهِ لِي يَا أُمَّ مَعْبَدٍ.

فَقَالَتْ:.. وَشَرَعَتْ فِي وَصْفِهِ، وَكَانَتْ بَلِيغَةً بَلَاغَةً عَظِيمَةً فَوَصَفَتِ النَّبِيَّ ﷺ وَصْفًا عَظِيمًا.

فَقَالَ أَبُو مَعْبَدٍ: هَذَا وَاللهِ! صَاحِبُ قُرَيْشٍ الَّذِي ذُكِرَ لَنَا مِنْ أَمْرِهِ مَا ذُكِرَ، وَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَصْحَبَهُ، وَلَأَفْعَلَنَّ إِنْ وَجَدْتُ إِلَىٰ ذَلِكَ سَبِيلًا»(١). أَخْرَجَ قِصَّةَ أُمِّ مَعْبَدٍ الْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ»، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «الدَّلَائِلِ»، وَابْنُ سَعْدٍ فِي «الطَّبَقَاتِ».

وَقَالَ الْهَيْثَمِيُّ فِي «الْمَجْمَعِ»: «رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ وَفِي إِسْنَادِهِ جَمَاعَةٌ لَمْ أَعْرِفْهُمْ». وَلِلْحَدِيثِ طَرِيقَانِ آخَرَانِ أَوْرَدَهُمَا ابْنُ كَثِيرٍ فِي البِدَايَةِ وَالنِّهَايَةِ. قَالَ الْأَلْبَانِيُّ فِي «تَعْلِيقِهِ عَلَىٰ فِقْهِ السِّيرَةِ»: «هَذَا الْحَدِيثُ -يُرِيدُ حَدِيثَ أُمِّ مَعْبَدٍ- هَذَا الْحَدِيثُ بِهَذِهِ الطُّرُقِ لَا يَنْزِلُ عَنْ رُتْبَةِ الْحَسَنِ».

---

(١) أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» (٤٢٧٤)، وَالطَّبَرَانِيُّ فِي «الْكَبِيرِ» (٤/ ٤٨) وَغَيْرُهُمْ مِنْ طُرُقٍ عَنْ أُمِّ مَعْبَدٍ مُطَوَّلًا وَمُخْتَصَرًا.
قَالَ الْأَلْبَانِيُّ فِي تَخْرِيجِ أَحَادِيثِ فِقْهِ السِّيرَةِ (ص١٧٩):«هَذَا الْحَدِيثُ بِهَذِهِ الطُّرُقِ لَا يَنْزِلُ عَنْ رُتْبَةِ الْحَسَنِ».

كَانَ الْأَنْصَارُ لَمَّا بَلَغَهُمْ مَخْرَجُ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ مَكَّةَ مُهَاجِرًا إِلَىٰ الْمَدِينَةِ، كَانُوا يَخْرُجُونَ كُلَّ يَوْمٍ إِذَا صَلُّوا الصُّبْحَ إِلَىٰ (الْحَرَّةِ)، يَنْتَظِرُونَهُ أَوَّلَ النَّهَارِ، فَإِذَا اشْتَدَّ الْحَرُّ رَجَعُوا إِلَىٰ مَنَازِلِهِمْ.

فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الِاثْنَيْنِ الثَّانِيَ عشَرَ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سَنَةَ أَرْبَعَ عَشْرَةَ مِنَ الْبَعْثَةِ - وَهِيَ السَّنَةُ الْأُولَىٰ مِنَ الْهِجْرَةِ، لَمَّا كَانَ يَوْمُ الِاثْنَيْنِ الْمُوَافِقِ لِلثَّالِثِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ سِبْتَمْبِر سَنَة اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ وَسِتِّمِائَةٍ مَنِ الْمِيلَادِ (٢٣-٩-٦٢٢م)- خَرَجُوا عَلَىٰ عَادَتِهِمْ، فَلَمَّا حَمِيَ الْحَرُّ رَجَعُوا، فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ بُيُوتِهِمْ أَوْفَىٰ رَجُلٌ مِنْ يَهُودَ عَلَىٰ أُطُمٍ مِنْ آطَامِهِمْ -الْأُطُمُ: الْحِصْنُ وَأَوْفَىٰ عَلَيْهِ أَيْ طَلَعَ إِلَىٰ مَكَانٍ عَالٍ فَأَشْرَفَ مِنْهُ- لِأَمْرٍ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَرَأَىٰ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابَهُ مُبَيَّضِينَ -عَلَيْهِمْ الثِّيَابُ الْبِيضُ الَّتِي كَسَاهُمْ إِيَّاهَا الزُّبَيْرُ وَطَلْحَةُ- يَزُولُ بِهِمُ السَّرَابُ، فَلَمْ يَمْلِكِ الْيَهُودِيُّ أَنْ صَرَخَ بِأَعْلَىٰ صَوْتِهِ: «يَا مَعْشَرَ الْعَرَبِ! هَذَا جَدُّكُمُ الَّذِي تَنْتَظِرُونَ».

فِي رِوَايَةِ ابْنِ إِسْحَاقَ أَنَّهُ قَالَ: «يَا بَنِي قَيْلَةَ -بِفَتْحِ الْقَافِ- وَهِيَ الْجَدَّةُ الْكُبْرَىٰ لِلْأَنْصَارِ وَالِدَةُ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ وَهِيَ قَيْلَةُ بِنْتُ كَاهِلٍ- فَصَاحَ بِأَعْلَىٰ صَوْتِهِ: يَا بَنِي قَيْلَةَ».

وَفِي الرِّوَايَةِ: «صَرَخَ بِأَعْلَىٰ صَوْتِهِ: يَا مَعْشَرَ الْعَرَبِ! هَذَا جَدُّكُمْ -بِفَتْحِ الْجِيمِ- أَيْ: حَظُّكُمْ وَصَاحِبُ دَوْلَتِكُمْ- الَّذِي تَنْتَظِرُونَ -أَيِ: الَّذِي تَتَوَقَّعُونَهُ- فَثَارَ الْمُسْلِمُونَ إِلَىٰ السِّلَاحِ، فتَلَقَّوْا رَسُولَ اللهِ ﷺ بِظَهْرِ الْحَرَّةِ»(١).

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٣٩٠٦).

وَسُمِعَتِ الرَّجَّةُ -أَيِ الْحَرَكَةُ الشَّدِيدَةُ- وَالتَّكْبِيرُ فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، وَكَبُرَ الْمُسْلِمُونَ فرَحًا بِقُدُومِ الرَّسُولِ ﷺ، وَخَرَجُوا لِلِقَائِهِ، فَتَلَقَّوْهُ وَحَيَّوْهُ بِتَحِيَّةِ النُّبُوَّةِ، فَطَفِقَ مَنْ جَاءَ مِنَ الْأَنْصَارِ -أَيْ: فَجَعَل مَنْ جَاءَ مِنَ الْأَنْصَارِ- مِمَّنْ لَمْ يَرَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَحْيِّي أَبَا بَكْرٍ، حَتَّىٰ أَصَابَتِ الشَّمْسُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ حَتَّىٰ ظَلَّلَ عَلَيْهِ بِرِدَائِهِ، فَعَرَفَ النَّاسُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مَلِكًا ﷺ فَلَا يَلْبَسُ الْحَرِيرَ وَلَا تَلُوحُ عَلَيْهِ شَارَاتُ الْمُلْكِ، وَلَا يَتَأَلَّقُ عَلَىٰ جَبِينِهِ التَّاجُ، بَلْ كَان عَبْدًا للهِ مُتَواضِعًا يَلْبَسُ مَا يَلْبَسُ النَّاسُ وَيَأْكُلُ مَا يَأْكُلُونَ وَيَجُوعُ إِنْ جَاعُوا وَيَشْبَعُ إِنْ شَبِعُوا، وَلَقَدْ كَانَ فِي أَصْحَابِهِ الْأَغْنِيَاءُ الْمُوسِرُونَ، وَلَكِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَحَبَّ أَنْ يَعِيشَ مِسْكِينًا وَأَنْ يَمُوتَ مِسْكِينًا.

فَعَرَفَ النَّاسُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ، فَأَحْدَقُوا بِهِ مُطِيفِينَ حَوْلَهُ، وَالسَّكِينَةُ تَغْشَاهُ، وَالْوَحْيُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريم: ٤]». أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ.

نَزَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَىٰ كُلْثُومِ بْنِ الْهِدْمِ أَحَدِ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، وَقِيلَ: بَلْ نَزَلَ عَلَىٰ سَعْدِ بْنِ خَيْثَمَةَ، وَالْأَوَّلُ أَثْبَتُ.

أَمَّا أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه، فَنَزَلَ عَلَىٰ خَارِجَةَ بْنِ زَيْدٍ، أَخِي بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ بِـ(السُّنْحِ) -وَالسُّنْحُ -بِضَمِّ السِّينِ-: مَوْضِعٌ بِعَوَالِي الْمَدِينَةِ فِيهِ مَنَازِلُ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ.(*).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ سِلْسِلَةِ: «السِّيرَةُ النَّبَوِيَّةُ» (الْمُحَاضَرَةُ الْخَامِسَةُ وَالْعِشْرُونَ: الْهِجْرَةُ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ»، الثُّلَاثَاءُ ٨ مِنَ الْمُحَرَّمِ ١٤٤٠هـ/ ١٨-٩-٢٠١٨م.

مَكَثَ النَّبِيُّ ﷺ بِقُبَاءٍ أَرْبَعَةَ عَشَرَ يَوْمًا بَنَىٰ خِلَالَهَا مَسْجِدَ قُبَاءٍ، ثُمَّ أَرَادَ النَّبِيُّ ﷺ دُخُولَ الْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ، فَخَرَجَ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِهِمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَأَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فِي بَنِي سَالِمِ بْنِ عَوْفٍ، فَصَلَّاهَا فِي الْمَسْجِدِ الَّذِي فِي بَطْنِ الْوَادِي فَكَانَتْ أَوَّلَ جُمُعَةٍ صَلَّاهَا بِالْمَدِينَةِ.

وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ قَدْ أَرْسَلَ إِلَىٰ بَنِي النَّجَّارِ لَمَّا عَقَدَ الْعَزْمَ عَلَىٰ التَّحَرُّكِ مِنْ قُبَاءٍ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ؛ فَجَاءُوهُ مُتَقَلِّدِي سُيُوفِهِمْ؛ حَرَسًا لَهُ ﷺ .

فَلَمَّا أَشْرَفَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَىٰ الْمَدِينَةِ لَيْلًا اسْتَقْبَلَهُ أَهْلُهَا اسْتِقْبَالًا حَافِلًا، وَفَرِحُوا بِمَقْدَمِهِ عَلَيْهِمْ مَا لَمْ يَفْرَحُوا بِشَيْءٍ مِثْلِهِ قَطُّ.

قَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنه: «لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمَدِينَةَ لَعِبَتْ الْحَبَشَةُ لِقُدُومِهِ؛ فَرَحًا بِذَلِكَ، لَعِبُوا بِحِرَابِهِمْ»(١). أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَقَالَ الْأَلْبَانِيُّ: صَحِيحُ الْإِسْنَادِ.

لَعِبَتِ الْحَبَشَةُ لِقُدُومِهِ؛ فَرَحًا بِذَلِكَ، لَعِبُوا بِحِرَابِهِمْ.

يَقُولُ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنه: «فَأَقَامَ فِيهِمْ -أَيْ: فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ- أَرْبَعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَىٰ مَلَإِ بَنِي النَّجَّارِ، قَالَ: فَجَاءُوا مُتَقَلِّدِي سُيُوفِهِمْ، قَالَ:

---

(١) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي «**السُّنَنِ**»: (٤/ ٢٨١، رقم ٤٩٢٣)، وَأَحْمَدُ فِي «**الْمُسْنَدِ**»: (٣/ ١٦١، رَقْم ١٢٦٤٩).

وَالْحَدِيثُ صَحَّحَ إِسْنَادَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «**صَحِيحِ سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ**»: (٣/ ٢٠٧، رقم ٤٩٢٣).

وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ علَىٰ رَاحِلَتِهِ وَأَبُو بَكْرٍ رِدْفَهُ وَمَلَأُ بَنِي النَّجَّارِ حَوْلَهُ»(١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

فَقِيلَ فِي الْمَدِينَةِ: «جَاءَ نَبِيُّ اللهِ، جَاءَ نَبِيُّ اللهِ، جَاءَ نَبِيُّ اللهِ»(٢). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَاللَّفْظُ لِلْبُخَارِيِّ: «جَاءَ نَبِيُّ اللهِ، جَاءَ نَبِيُّ اللهِ».

فَتَنَازَعُوا أَيُّهُمْ يَنْزِلُ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «**أَنْزِلُ عَلَىٰ بَنِي النَّجَّارِ أَخْوَالِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أُكْرِمُهُمْ بِذَلِكَ**».

فَصَعِدَ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ فَوْقَ الْبُيُوتِ وتَفَرَّقَ الْغِلْمَانُ وَالْخَدَمُ فِي الطُّرُقِ يُنَادُونَ يَا مُحَمَّدُ يَا رَسُولَ اللهِ، يَا مُحَمَّدُ يَا رَسُولَ اللهِ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَيُّ بُيُوتِ أَهْلِنَا أَقْرَبُ؟**».

فَقَالَ أَبُو أَيُّوبَ: «أَنَا يَا نَبِيَّ اللهِ، هَذِهِ دَارِي وَهَذَا بَابِي».

فَقَالَ ﷺ: «**فَانْطَلِقْ فَهَيِّئْ لَنَا مَقِيلًا**».

قَالَ: «قُومَا عَلَىٰ بَرَكَةِ اللهِ»(٣). أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ.

فَنَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ فِي دَارِ الصَّحَابِيِّ خَالِدِ بْنِ زَيْدٍ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه.

فَأَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ فِي السُّفْلِ، وَأَبُو أَيُّوبَ فِي الْعُلْوِ، فَانْتَبَهَ أَبُو أَيُّوبَ لَيْلَةً فَقَالَ:

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٣٩٣٢)، وَمُسْلِمٌ (٥٢٤).

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٣٩١١).

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٣٩١١).

«نَمْشِي فَوْقَ رَأْسِ رَسُولِ اللهِ ﷺ»، فَتَنَحَّوْا فَبَاتُوا فِي جَانِبٍ، ثُمَّ قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**السُّفْلُ أَرْفَقُ**».

فَقَالَ: «لَا أَعْلُو سَقِيفَةً أَنْتَ تَحْتَهَا»، فَتَحَوَّلَ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْعُلْوِ، وَأَبُو أَيُّوبَ فِي السُّفْلِ، فَكَانَ يَصْنَعُ لِلنَّبِيِّ ﷺ طَعَامًا، فَإِذَا جِيءَ بِهِ إِلَيْهِ سَأَلَ عَنْ مَوْضِعِ أَصَابِعِهِ فَيَتَتَبَّعُ مَوْضِعَ أَصَابِعِهِ، فَصَنَعَ لَهُ طَعَامًا فِيهِ ثُومٌ، فَلَمَّا رُدَّ إِلَيْهِ سَأَلَ عَنْ مَوْضِعِ أَصَابِعِ النَّبِيِّ ﷺ فَقِيلَ لَهُ: «لَمْ يَأْكُلْ»، فَفَزِعَ وَصَعِدَ إِلَيْهِ فَقَالَ: «أَحَرَامٌ هُوَ؟».

فَقَالَ النَّبِيُّ: «**لَا، وَلَكِنِّي أَكْرَهُهُ**».

قَالَ: «فَإِنِّي أَكْرَهُ مَا تَكْرَهُ أَوْ أَكْرَهُ مَا كَرِهْتَ»(١). أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.

وَكَانَ ذَلِكَ لِأَنَّ جِبْرِيلَ عليه السلام كَانَ يَأْتِي إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ بِالْوَحْيِ.

وَهَكَذَا تَمَّتْ هِجْرَتُهُ ﷺ رَغْمَ الطَّلَبِ وَالرَّصَدِ، وَرَغْمَ عَدَاوَةِ قُرَيْشٍ وَتَرَبُّصِهَا.

❀❀❀

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٢٠٥٣).

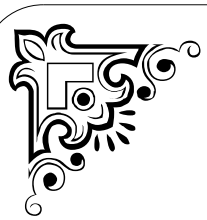

إِجْمَالُ خُطَّةِ هِجْرَةِ النَّبِيِّ ﷺ

كَانَتِ الْخُطَّةُ الَّتِي وُضِعَتْ لِلْهِجْرَةِ دَقِيقَةً وَعَظِيمَةً وَمُحْكَمَةً، وَكَانَتْ كَالْآتِي كَمَا ذَكَرَهَا الْبُخَارِيُّ وَابْنُ إِسْحَاقَ: أَنْ يَخْرُجَا لَيْلًا إِلَىٰ غَارِ ثَوْرٍ -كَمَا فِي الْبُخَارِيِّ-، فِي الْجِهَةِ الْجَنُوبِيَّةِ الْغَرْبِيَّةِ مِنْ مَكَّةَ، وَفِي هَذَا تَمْوِيهٌ عَلَىٰ الْكُفَّارِ؛ لِأَنَّ أَنْظَارَهُمْ سَتَتَّجِهُ لِلْبَحْثِ عَنِ الرَّسُولِ ﷺ فِي الْجِهَةِ الشَّمَالِيَّةِ جِهَةِ الْمَدِينَةِ.

وَأَنْ يَمْكُثَا فِي الْغَارِ مُدَّةَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ حَتَّىٰ يَخِفَّ الطَّلَبُ عَنْهُمَا، وَاسْتَأْجَرَا دَلِيلًا مَاهِرًا عَارِفًا بِمَسَالِكِ طُرُقِ الصَّحْرَاءِ؛ لِيَقُودَهُمَا إِلَىٰ الْمَدِينَةِ وَهُوَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُرَيْقِطٍ، وَكَانَ مُشْرِكًا، وَاسْتَكْتَمَاهُ الْخَبَرَ، وَاتَّفَقَا مَعَهُ عَلَىٰ أَنْ يَلْحَقَ بِهِمَا فِي غَارِ ثَوْرٍ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، وَدَفَعَا إِلَيْهِ بِالرَّاحِلَتَيْنِ اللَّتَيْنِ اشْتَرَاهُمَا أَبُو بَكْرٍ، وَكَانَ يَعْلِفُهُمَا لِذَلِكَ الْيَوْمِ.

وَأَعَدَّتْ لَهُمَا أَسْمَاءُ زَادًا وَوَضَعَتْهُ فِي جِرَابٍ، وقَطَعَتْ مِنْ نِطَاقِهَا فَرَبَطَتْ بِهِ عَلَىٰ فَمِ الْجِرَابِ؛ فَبِذَلِكَ سُمِّيَتْ «ذَاتَ النِّطَاقِ»، وَفِي رِوَايَةٍ: «ذَاتَ النِّطَاقَيْنِ». كَمَا فِي الْبُخَارِيِّ.

أَمَرَ أَبُو بَكْرٍ ابْنَهُ عَبْدَ اللهِ أَنْ يَتَسَمَّعَ لَهُمَا مَا يَقُولُه النَّاسُ عَنْهُمَا فِي النَّهَارِ، فَيَأْتِيهِمَا بِهِ بِاللَّيْلِ فِي الْغَارِ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَىٰ مَكَّةَ فِي السَّحَرِ؛ لِيُصْبِحَ مَعَ قُرَيْشٍ كَأَنَّهُ

كَانَ بَائِتًا مَعَهُمْ.

وَأَمَرَ مَوْلَاهُ عَامِرَ بْنَ فُهَيْرَةَ أَنْ يَرْعَىٰ غَنَمَهُ نَهَارَهُ، ثُمَّ يُرِيحُهَا عَلَيْهِمَا فِي الْغَارِ إِذَا أَمْسَىٰ، لِيَطْعَمَا مِنْ أَلْبَانِهَا وَيَذْبَحَهَا مِنْهَا لِلْأَكْلِ وَيُزِيلَ بِهَا آثَارَ أَقْدَامِ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

أَمَرَ أَسْمَاءَ أَنْ تَأْتِيَهُمَا مِنَ الطَّعَامِ بِمَا يُصْلِحُهُمَا فِي كُلِّ مَسَاءٍ، وَانْطَلَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَىٰ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، فَأَمَرَهُ أَنْ يَتَخَلَّفَ بَعْدَهُ بِمَكَّةَ رَيْثَمَا يُؤَدِّي عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ الْوَدَائِعَ الَّتِي كَانَتْ عِنْدَهُ لِلنَّاسِ، إِذْ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ لَهُ شَيْءٌ يَخْشَىٰ عَلَيْهِ إِلَّا اسْتَوْدَعَهُ رَسُولَ اللهِ ﷺ؛ لِمَا يَعْلَمُهُ مِنْ صِدْقِهِ وَأَمَانَتِهِ.

وَأَمَرَ عَلِيًّا أَنْ يَنَامَ عَلَىٰ فِرَاشِهِ، ويَتَسَجَّىٰ بِبُرْدِهِ الْحَضْرَمِيِّ الْأَخْضَرِ، الَّذِي كَانَ يَنَامُ فِيهِ، وَطَمْأَنَهُ أَنَّهُ لَنْ يَصِلَ إِلَيْهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ يَكْرَهُهُ، وَذَلِكَ كُلُّهُ لِلتَّمْوِيهِ عَلَىٰ قُرَيْشٍ وَعَلىٰ مَنْ يَطْلُبُهُمَا مِنْهُ.

أَمَرَ أَبُو بَكْرٍ عَامِرَ بْنَ فُهَيْرَةَ أَنْ يَصْحَبَهُمَا فِي هِجْرَتِهِمَا؛ لِيَخْدُمَهُمَا وَلِيُعِينَهُمَا فِي الطَّرِيقِ.

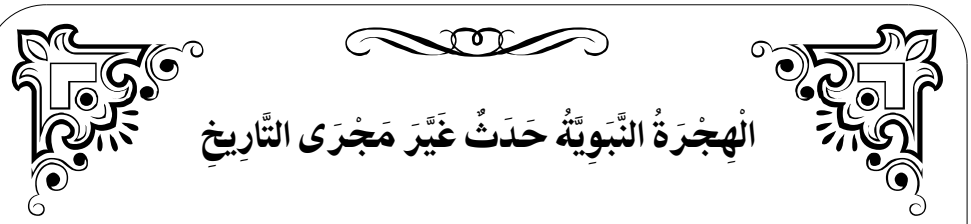

الْهِجْرَةُ النَّبَوِيَّةُ حَدَثٌ غَيَّرَ مَجْرَى التَّارِيخِ

لَقَدْ أَمَرَ اللهُ -تَعَالَىٰ- الرَّسُولَ ﷺ بِهَذِهِ الهِجْرَةِ بَعْدَ أَنْ مَكَثَ فِي مَكَّةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً يُوحَىٰ إِلَيْهِ.

«وَعِنْدَما أَمَرَهُ بِالْهِجْرَةِ أَنْزَلَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَـٰنًا نَّصِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٠]»(١). أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ.

وَكَانَ مَا أَرَادَهُ اللهُ فِي هَذَا الدُّعَاءِ الْمُوجَزِ الْمُعَبِّرِ وَالَّذِي اخْتَارَهُ لَهُ اللهُ لِيَجْعَلَهُ مِفْتَاحًا لِلطُّمَأْنِينَةِ.

لَقَدْ كَانَتْ هِجْرَةُ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ عَنِ الْبَلَدِ الْأَمِينِ تَضْحِيَةً عَظِيمَةً، عَبَّرَ عَنْهَا النَّبِيُّ ﷺ بِقَوْلِهِ: «**وَاللهِ إِنَّكَ لَخَيْرُ أَرْضِ اللهِ، وَأَحَبُّ أَرْضِ اللهِ إِلَىٰ اللهِ، وَلَوْ لَا أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكَ مَا خَرَجْتُ!**» أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

لَقَدْ كَانَتِ الْهِجْرَةُ تَضْحِيَةً عَظِيمَةً فِي سَبِيلِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا.

وَكَانَتِ الْهِجْرَةُ النَّبَوِيَّةُ مِنْ مَكَّةَ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ أَعْظَمَ حَدَثٍ حَوَّلَ مَجْرَىٰ

---

(١) تقدم تخريجه.

التَّارِيخِ وَغَيَّرَ مَسِيرَةَ الْحَيَاةِ ومَنَاهِجَهَا الَّتِي كَانَتْ تَحْيَا بِهَا وَتَعِيشُ مَحْكُومَةً بِهَا فِي صُورَةِ قَوَانِينَ وَنُظُمٍ وَأَعْرَافٍ وَعَادَاتٍ وَأَخْلَاقٍ وَسُلُوكٍ لِلْأَفْرَادِ وَالْجَمَاعَاتِ وَعَقَائدَ وَتَعَبُّدَاتٍ وَعِلْمٍ وَمَعْرِفَةٍ، وَجَهَالَةٍ وَسَفَهٍ، وَضَلَالٍ وَهُدًىٰ، وَعَدْلٍ وَظُلْمٍ.

وَالْهِجْرَةَ فِي سَبِيلِ اللهِ سُنَّةٌ قَدِيمَةٌ، وَلَمْ تَكُنْ هِجْرَةُ نَبِيِّنَا ﷺ بِدْعًا فِي حَيَاةِ الرُّسُلِ لِنُصْرَةِ عَقَائِدِهِمْ، فَلَئِنْ كَانَ قَدْ هَاجَرَ مِنْ وَطَنِهِ مِنْ أَجْلِ الدَّعْوَةِ حِفَاظًا عَلَيْهَا، وَمِنْ إِيجَادِ بِيئَةٍ خَصْبَةٍ تَتَقَبَّلُهَا وتَسْتَجِيبُ لَهَا، وَتَذُودُ عَنْهَا، فَقَدْ هَاجَرَ عَدَدٌ مِنْ إِخْوَانِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلَهُ مِنْ أَوْطَانِهِمْ لِلْأَسْبَابِ نَفْسِهَا الَّتِي دَعَتْ نَبِيَّنَا ﷺ لِلْهِجْرَةِ؛ ذَلِكَ أَنَّ بَقَاءَ الدَّعْوَةِ فِي أَرْضٍ قَاحِلَةٍ لَا يَخْدُمُهَا، بَلْ يُعَوِّقُ مَسَارَهَا وَيَشُلَّ حَرَكَتَهَا، وَقَدْ يُعَرِّضُهَا لِلِانْكِمَاشِ دَاخِلَ أَضْيَقِ الدَّوَائِرِ.

وَقَدْ قَصَّ عَلَيْنَا الْقُرْآنُ الْمَجِيدُ نَمَاذِجَ مِنْ هِجْرَاتِ الرُّسُلِ وَأَتْبَاعِهِمْ مِنْ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ لِتَبْدُوَ لَنَا فِي وُضُوحٍ سُنَّةً مِنْ سُنَنِ اللهِ فِي شَأْنِ الدَّعَوَاتِ، يَأْخُذُ بِهَا كُلُّ مُؤْمِنٍ مِنْ بَعْدِهِمْ إِذَا حِيلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ إِيمَانِهِ وَعِزَّتِهِ، وَاسْتُخِفَّ بِكِيَانِهِ وَوُجُودِهِ وَاعْتُدِيَ عَلَىٰ مُرُوءَتِهِ وَكَرَامَتِهِ.

هَذَا هُوَ حَدِيثُ الْهِجْرَةِ الَّتِي كَانَتْ فَاتِحَةَ تَارِيخٍ جَلِيلٍ لَمْ يُكْتَبْ مِثْلُهُ وَكَانَتِ الْهِجْرَةُ النُّقْطَةَ الْفَاصِلَةَ فِي التَّارِيخِ بَيْنَ عَهْدٍ مُظْلِمٍ مُضْطَرِبٍ تُحْتَضَرُ فِيهَا الْحَضَارَةُ، وَعَهْدٍ زَاهِرٍ سَعِيدٍ وُلِدَتْ فِيهِ حَضَارَةٌ جَدِيدَةٌ أَضَاءَتْ لِلْعَالَمِ طَرِيقَ الْمَجْدِ وَالْفَلَاحِ.

وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَانَ الْمُهَاجِرُونَ الَّذِينَ تَرَكُوا دَوْرَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَبِلَادَهُمْ وَأَوْطَانَهُمْ وَخَرَجُوا مُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ كَانُوا أَفْضَلَ الْمُسْلِمِينَ وَأَعْلَاهُمْ مَنْزِلَةً وَأَكْثَرَهُمْ ثَوَابًا.

قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر: ٨].

قَالَ الْبَغَوِيُّ رَحِمَهُ اللهُ **فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ**: «خَرَجُوا إِلَىٰ دَارِ الْهِجْرَةِ طَلَبًا لِرِضَا اللهِ ﷻ».

كَانَ أَوَّلَ عَمَلٍ قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَمَّا قَدِمَ قُبَاءً أَنْ أَسَّسَ مَسْجِدَ قُبَاءٍ، وَهُوَ الْمَسْجِدُ الَّذِي أَسَّسَ عَلَىٰ التَّقْوَىٰ وَصَلَّىٰ فِيهِ، وَهُوَ أَوَّلُ مَسْجِدٍ بُنِيَ فِي الْإِسْلَامِ.(*).

❀❀❀

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ سِلْسِلَة: «السِّيرَةُ النَّبَوِيَّةُ» (الْمُحَاضَرَةُ السَّادِسَةُ وَالْعِشْرُونَ: دُخُولُهُ ﷺ الْمَدِينَةَ»، الْأَرْبِعَاءُ ٩ مِنَ الْمُحَرَّمِ ١٤٤٠هـ/ ١٩-٩-٢٠١٨م.

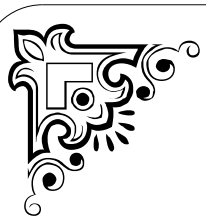

عُلُوُّ مَنْزِلَةِ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم وَسُمُوُّ مَكَانَتِهِمْ

إِنَّ النَّاظِرَ فِي نُصُوصِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ يُدْرِكُ بِوُضُوحٍ وَجَلَاءٍ الْفَضْلَ الْعَظِيمَ وَالْمَنْزِلَةَ الْعَالِيَةَ وَالْمَكَانَةَ السَّامِيَةَ الَّتِي نَالَهَا أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، أُولَئِكَ الَّذِينَ اخْتَارَهُمُ اللهُ وَاصْطَفَاهُمْ لِصُحْبَةِ نَبِيِّهِ وَمُصْطَفَاهُ ﷺ، وَاخْتَصَّهُمْ بِهَذِهِ الصُّحْبَةِ الْعَظِيمَةِ، فَقَامُوا بِنُصْرَةِ دِينِهِ جَلَّ وَعَلَا.

أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا فِي إِيمَانِهِمْ بِاللهِ وَرَسُولِهِ ﷺ، وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَنُصْرَةِ دِينِهِ، وَحَمْلِ رِسَالَتِهِ إِلَىٰ خَلْقِهِ بِصِدْقٍ وَإِخْلَاصٍ وَتَضْحِيَةٍ، حَتَّىٰ اسْتَقَامَ الْأَمْرُ، وَانْتَشَرَ الدِّينُ عَلَىٰ أَيْدِيهِمْ فِي أَرْضِ اللهِ -تَعَالَىٰ- وَبَيْنَ عِبَادِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا، فَكَانَ لَهُمْ فِي ذَلِكَ فَضْلٌ وَمِنَّةٌ عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ، وَاسْتَحَقُّوا بِذَلِكَ جَمِيلَ الذِّكْرِ وَعَظِيمَ الثَّنَاءِ مِنَ اللهِ -تَعَالَىٰ- فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ وَمِنْ رَسُولِهِ ﷺ فِي سُنَّتِهِ الْغَرَّاءِ.

وَمِمَّا جَاءَ فِي فَضْلِهِمْ فِي كِتَابِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وَقَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣].

الصَّحَابَةُ رضي الله عنهم هُمُ الْمُخَاطَبُونَ الْمُشَافَهُونَ بِهَذِهِ الْآيَاتِ بَدْءًا، فَهُمْ أَوْلَىٰ النَّاسِ وَالْخَلْقِ بِالْخَيْرِيَّةِ، وَإِنْ كَانَ يَدْخُلُ مَعَهُمْ غَيْرُهُمْ، وَلَا يَكُونُ لِغَيْرِهِمْ هَذِهِ الْمَنْزِلَةُ إِلَّا مَنْ تَبِعَهُمْ وِ اقْتَفَىٰ آثَارَهُمْ وَالْتَزَمَ هَدْيَهُمْ، وَلَا يَكُونُ مِثْلَهُمْ -رَضِيَ اللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ-.

وَمِمَّا يُبَيِّنُ وَيُوَضِّحُ مَنْزِلَةَ الصَّحَابَةِ قَوْلُ رَسُولِنَا ﷺ: «**خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**»(١). وَالْحَدِيثُ فِي «الصَّحِيحَيْنِ».

وَفِي رِوَايَةٍ لِلْبُخَارِيِّ(٢): «**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**».

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَىٰ فَضْلِ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم قَوْلُ اللهِ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التَّوْبَة: ١٠٠].

وَمِنْهُ قَوْلُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الحديد: ١٠].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٥٢، ٣٦٥١، ٦٤٢٩، ٦٦٥٨)، ومسلم (٢٥٣٣)، من حديث: عَبْدِ اللهِ بن مسعود.

(٢) أخرجها البخاري (٢٦٥٢، ٣٦٥١، ٦٤٢٩)، ومسلم (٢٥٣٣)، من حديث: عَبْدِ اللهِ بن مسعود.

وَيَدُلُّ عَلَىٰ فَضْلِهِمْ قَوْلُ اللهِ ﷻ: ﴿ ۞ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [الْفَتْح: ١٨].

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٧٤].

وَقَوْلُهُ -سُبْحَانَهُ-: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ﴾ [الْأَحْزَاب: ٢٣]. (*).

وَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ﴾ [النمل: ٥٩].

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي رِوَايَةِ أَبِي مَالِكٍ: «هُمْ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ وَرَضِيَ عَنْهُمْ، وَالدَّلِيلُ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ [فاطر: ٣٢]»(٢). (*/٢).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ: «شَرْحُ أُصُولِ السُّنَّةِ لِلْإِمَامِ الْحُمَيْدِيِّ رَحِمَهُ اللهُ» (الْمُحَاضَرَةُ الثَّامِنَةُ: عَقِيدَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ)، الثُّلَاثَاءُ ١٠ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ١٤٣٤هـ| ٢٢-١-٢٠١٣م.

(٢) أخرجه البزار كما في الزوائد علىٰ «**المسند**»: (٣/ ١٦١، رقم ٢٤٨٠)، والطبري في «**جامع البيان**»: (٢٠/ ٢)، وابن أبي حاتم في «**تفسيره**»: (٩/ ٢٩٠٦)، والثعلبي في «**الكشف والبيان**»: (٧/ ٢١٨)، من طريق: الْحَكَم بْن ظُهَيْرٍ، عَنِ السُّدِّيِّ، عَنْ أَبِي مَالِكٍ الخزاز، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، به.

وعزاه السيوطي في «**الدر المنثور**»: (٥/ ١١٣) إلىٰ ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر.

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ: «شَرْحُ الْجَوْهَرَةِ الْفَرِيدَةِ فِي تَحْقِيقِ الْعَقِيدَةِ» (الْمُحَاضَرَةُ السَّادِسَةُ وَالْخَمْسُونَ)، الْأَحَدُ ٢٩ مِنَ الْمُحَرَّمِ ١٤٣٨هـ| ٣٠-١٠-٢٠١٦م.

إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ الَّتِي نَصَّ فِيهَا رَبُّنَا ﷻ عَلَىٰ فَضْلِ الصَّحَابَةِ وَمَنْزِلَتِهِمْ وَمَا وَعَدَهُمْ بِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، مَعَ بَيَانِ رِضَاهُ عَنْهُمْ وَعَنْ سُلُوكِهِمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَغْفِرَتِهِ لَهُمْ؛ لِعَظِيمِ صِدْقِهِمْ فِي عَهْدِهِمْ، وَالْتِزَامِهِمْ بِدِينِ رَبِّهِمْ، وَالذَّبِّ عَنْهُ وَعَنْ نَبِيِّهِ.

وَفِي سُنَّةِ النَّبِيِّ ﷺ كَثِيرٌ مِنَ الْأَحَادِيثِ الَّتِي دَلَّتْ عَلَىٰ فَضْلِ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم؛ مِنْهَا مَا أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «**النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ؛ فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَىٰ السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ. وَأَنَا أَمَنَةٌ لِأَصْحَابِي؛ فَإِذَا ذَهَبْتُ أَتَىٰ أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ. وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي؛ فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَىٰ أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ**»(١).

وَأَخْرَجَ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» بِسَنَدِهِ عَنِ الرَّسُولِ ﷺ: «**لَا يَدْخُلُ النَّارَ -إِنْ شَاءَ اللهُ- مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ أَحَدٌ**»(٢).

إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَحَادِيثِ الَّتِي تُبَيِّنُ فَضْلَ الصَّحَابَةِ أَوْ تَخُصُّ بِالْفَضْلِ طَائِفَةً مِنْهُمْ، أَوْ تَخُصُّ بَعْضَهُمْ، وَهَذَا كُلُّهُ يَدُلُّ دَلَالَةً وَاضِحَةً عَلَىٰ عُلُوِّ مَنْزِلَتِهِمْ وَعَظِيمِ فَضْلِهِمْ؛ لِسَابِقَتِهِمْ وَصِدْقِهِمْ وَإِخْلَاصِهِمْ فِي دِينِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

وَأَخْرَجَ أَحْمَدُ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه **قَالَ**: «إِنَّ اللهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ ﷺ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ، فَابْتَعَثَهُ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٣١)، من حديث: أَبِي مُوسَىٰ الْأَشْعَرِيِّ.

(٢) أخرجه مسلم (٢٤٩٦)، من حديث: جابر بن عبد الله، عن أُمِّ مُبَشِّرٍ امْرَأَةِ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ.

بِرِسَالَتِهِ، ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ بَعْدَ قَلْبِ مُحَمَّدٍ، فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَجَعَلَهُمْ وُزَرَاءَ نَبِيِّهِ، يُقَاتِلُونَ عَلَىٰ دِينِهِ»(١).

وَالصَّحَابَةُ عُدُولٌ كُلُّهُمْ، هَذَا مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ.(*).

❀❀❀

(١) أخرجه أحمد (٣٦٠٠)، من حديث: عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، وصحح إسناده الألباني في «الضعيفة» (٢/ ١٧).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ: «شَرْحُ أُصُولِ السُّنَّةِ لِلْإِمَامِ الْحُمَيْدِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ» (الْمُحَاضَرَةُ الثَّامِنَةُ: عَقِيدَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ)، الثُّلَاثَاءُ ١٠ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ١٤٣٤هـ| ٢٢-١-٢٠١٣م.

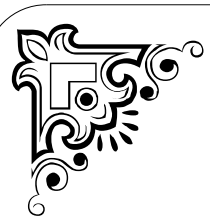

عَقِيدَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ! إِنَّ «أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ هُمُ الَّذِينَ شَهِدُوا الْوَحْيَ وَالتَّنْزِيلَ، وَعَرَفُوا التَّفْسِيرَ وَالتَّأْوِيلَ، وَهُمُ الَّذِينَ اخْتَارَهُمُ اللهُ ﷻ لِصُحْبَةِ نَبِيِّهِ ﷺ وَنُصْرَتِهِ، وَإِقَامَةِ دِينِهِ وَإِظْهَارِ حَقِّهِ، فَرَضِيَهُمْ لَهُ صَحَابَةً، وَجَعَلَهُمْ لَنَا أَعْلَامًا وَقُدْوَةً، فَحَفِظُوا عَنْهُ ﷺ مَا بَلَغَهُمْ عَنِ اللهِ -تَعَالَىٰ- عَنْ طَرِيقِ رَسُولِ اللهِ، وَمَا سَنَّ وَشَرَعَ، وَحَكَمَ وَقَضَىٰ، وَنَدَبَ وَأَمَرَ، وَنَهَىٰ وَحَظَرَ، وَأَدَّبَ وَأَرْشَدَ، وَوَعَوْهُ وَأَتْقَنُوهُ.

فَفَقِهُوا فِي الدِّينِ، وَعَلِمُوا أَمْرَ اللهِ وَنَهْيَهُ وَمُرَادَهُ، فَشَرَّفَهُمُ اللهُ ﷻ بِمَا مَنَّ عَلَيْهِمْ وَأَكْرَمَهُمْ بِهِ مِنْ وَضْعِهِ إِيَّاهُمْ مَوْضِعَ الْقُدْوَةِ، فَنَفَىٰ عَنْهُمُ الشَّكَّ وَالْكَذِبَ وَالْغَلَطَ وَالرِّيبَةَ وَالْغَمْزَ، وَسَمَّاهُمْ عُدُولَ الْأُمَّةِ، فَقَالَ -عَزَّ ذِكْرُهُ- فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ: ﴿ **وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ** ﴾، فَفَسَّرَ رَسُولُ اللهِ عَنِ اللهِ -عَزَّ ذِكْرُهُ- قَوْلَهُ: ﴿وَسَطًا﴾، قَالَ: «**عَدْلًا**»، عُدُولًا خِيَارًا، فَكَانُوا عُدُولَ الْأُمَّةِ، وَأَئِمَّةَ الْهُدَىٰ، وَحُجَجَ الدِّينِ، وَنَقَلَةَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

وَنَدَبَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إِلَىٰ التَّمَسُّكِ بِهَدْيِهِمْ، وَالْجَرْيِ عَلَىٰ مِنْهَاجِهِمْ، وَالسُّلُوكِ لِسَبِيلِهِمْ، وَالِاقْتِدَاءِ بِهِمْ، فَقَالَ -جَلَّ ذِكْرُهُ-: ﴿ **وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ**

بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ١١٥]»(١).

وَأَوْلَىٰ مَنِ انْطَبَقَ عَلَيْهِمْ سَبِيلُ الْمُؤْمِنِينَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ الْأَمِينِ ﷺ.

قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي بَيَانِ الِاعْتِقَادِ الْوَاجِبِ نَحْوَ الصَّحَابَةِ(٢): «حُبُّهُمْ سُنَّةٌ، وَالدُّعَاءُ لَهُمْ قُرْبَةٌ، وَالِاقْتِدَاءُ بِهِمْ وَسِيلَةٌ، وَالْأَخْذُ بِآرَائِهِمْ فَضِيلَةٌ، وَخَيْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا ﷺ أَبُو بَكْرٍ، وَخَيْرُهُمْ بَعْدَ أَبِي بَكْرٍ عُمَرُ، وَخَيْرُهُمْ بَعْدَ عُمَرَ عُثْمَانُ، وَخَيْرُهُمْ بَعْدَ عُثْمَانَ عَلِيٌّ -رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ- خُلَفَاءُ رَاشِدُونَ مَهْدِيُّونَ».

وَقَالَ الْإِمَامُ الطَّحَاوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ(٣): «وَنُحِبُّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَا نُفَرِّطُ فِي حُبِّ أَحَدٍ مِنْهُمْ، وَلَا نَتَبَرَّأُ مِنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ، وَنُبْغِضُ مَنْ يُبْغِضُهُمْ وَبِغَيْرِ الْخَيْرِ يَذْكُرُهُمْ، وَلَا نَذْكُرُهُمْ إِلَّا بِالْخَيْرِ، وَحُبُّهُمْ دِينٌ وَإِيمَانٌ وَإِحْسَانٌ، وَبُغْضُهُمْ كُفْرٌ وَنِفَاقٌ وَطُغْيَانٌ.

وَنُثْبِتُ الْخِلَافَةَ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَوَّلًا لِأَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه؛ تَفْضِيلًا لَهُ وَتَقْدِيمًا عَلَىٰ جَمِيعِ الْأُمَّةِ، ثُمَّ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه، ثُمَّ لِعُثْمَانَ رضي الله عنه،

---

(١) في «الجرح والتعديل» (١/ ٧).

(٢) أخرجه ابن أبي يعلىٰ في «طبقات الحنابلة» (١/ ٣٠) (المعرفة – بيروت)، من طريق: أبي العباس أحمد بن جعفر بن يعقوب الأصطخري، قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ أحمد بن محمد بن حنبل: «هذه مذاهب أهل العلم وأصحاب الأثر...» فذكره.

(٣) في «العقيدة الطحاوية» (ص/ ٨١: ٨٢) (المكتب الإسلامي - بيروت) (ط/ ١).

ثُمَّ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه، وَهُمُ الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ وَالْأَئِمَّةُ الْمَهْدِيُّونَ»، «وَمَنْ أَحْسَنَ الْقَوْلَ فِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَأَزْوَاجِهِ الطَّاهِرَاتِ مِنْ كُلِّ دَنَسٍ، وَذُرِّيَّاتِهِ الْمُطَهَّرِينَ مِنْ كُلِّ رِجْسٍ.. مَنْ أَحْسَنَ الْقَوْلَ فِيهِمْ؛ فَقَدْ بَرِئَ مِنَ النِّفَاقِ».

هُوَ بَعْضُ مَا يَتَعَلَّقُ بِفَضْلِ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم وَبِالْوَاجِبِ نَحْوَهُمْ.

وَأَمَّا سَبُّهُمْ وَشَتْمُهُمْ، فَالنُّصُوصُ وَالْأَقْوَالُ فِي النَّهْيِ عَنْ ذَلِكَ وَالتَّحْذِيرِ مِنْهُ وَبَيَانِ عَاقِبَةِ مَنْ وَقَعَ فِيهِ كَثِيرَةٌ ضَافِيَةٌ؛ مِنْهَا:

قَوْلُ الرَّسُولِ ﷺ: «**لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ**»(١). وَهَذَا أَخْرَجَهُ الشَّيْخَانِ فِي «صَحِيحَيْهِمَا».

وَقِيلَ لِبَعْضِ السَّلَفِ: إِنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ - وَهُوَ مَنْ هُوَ- يُقَدَّمُ عَلَىٰ مُعَاوِيَةَ رضي الله عنه، فَقَالَ: «وَاللهِ! لَغُبَارُ أَنْفِ فَرَسِ مُعَاوِيَةَ فِي مَشْهَدٍ مِنْ مَشَاهِدِهِ مَعَ الرَّسُولِ خَيْرٌ مِنْ مِلْءِ الْأَرْضِ مِنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤١)، من حديث: أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه.

(٢) صحيح، أخرجه الآجري في «الشريعة» (١٩٥٥)، والأصبهاني في «الحجة» (٢/ ٤٠٣)، وابن عساكر في «تاريخه» (٥٩/ ٢٠٧)، «قيل لعبد الله بن الْمُبَارك: مُعَاوِيَةُ خَيْرٌ أَوْ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ؟ فَقَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ: تُرَابٌ دَخَلَ فِي أَنْفِ مُعَاوِيَةَ رحمه الله مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ خَيْرٌ - أَوْ أَفْضَلُ - مِنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ».

وَعَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا **قَالَتْ**: «أُمِرُوا بِالِاسْتِغْفَارِ لِأَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَسَبُّوهُمْ»(١). أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي «فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ» بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **قَالَ**: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَلَمَقَامُ أَحَدِهِمْ سَاعَةً خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ أَحَدِكُمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً»(٢). أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي «فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ» بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

وَفِي رِوَايَةٍ: «خَيْرٌ مِنْ عَمَلِ أَحَدِكُمْ عُمُرَهُ»(٣).

وَعَنِ ابْنِ الْمُبَارَكِ رَحِمَهُ اللَّهُ **قَالَ**: «السَّيْفُ الَّذِي وَقَعَ بَيْنَ الصَّحَابَةِ فِتْنَةٌ، وَلَا أَقُولُ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ مَفْتُونٌ»(٤).

وَقَالَ بَقِيَّةُ بْنُ الْوَلِيدِ: قَالَ لِي الْأَوْزَاعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «يَا بَقِيَّةُ! لَا تَذْكُرْ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ نَبِيِّكَ ﷺ إِلَّا بِخَيْرٍ، يَا بَقِيَّةُ! الْعِلْمُ مَا جَاءَ عَنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَمَا لَمْ يَجِئْ عَنْهُمْ فَلَيْسَ بِعِلْمٍ»(٥).

---

(١) أخرجه مسلم (٣٠٢٢)، وأحمد في «فضائل الصحابة» (١٤، ١٧٣٨)، من حديث: عَائِشَةَ.

(٢) صحيح، أخرجه أحمد في «فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ» (٢٠، ١٧٢٩)، عن عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، قَالَ: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ، فَلَمُقَامُ أَحَدِهِمْ سَاعَةً خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ أَحَدِكُمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً».

(٣) صحيح، أخرجها ابن ماجه في «السنن» (١٦٢)، عن عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، قَالَ: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَلَمُقَامُ أَحَدِهِمْ سَاعَةً خَيْرٌ مِنْ عَمَلِ أَحَدِكُمْ عُمُرَهُ».

(٤) ذكره الذهبي في «السير» (٨/ ٤٠٥)، فقال: قال ابن المبارك: «السيف الذي كان بين الصحابة كان فتنة، ولا أقول لأحد منهم مَفْتُون».

(٥) صحيح، أخرجه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١٤٢٠، ١٤٢١) (دار ابن الجوزي، السعودية)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٥/ ٢٠١)، عن بَقِيَّة بْن الْوَلِيدِ، =

وَقَالَ أَبُو زُرْعَةَ الرَّازِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَنْتَقِصُ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَاعْلَمْ أَنَّهُ زِنْدِيقٌ»(١).

تَأَمَّلْ فِي كَلَامِ ذَلِكَ الْحَبْرِ مِنْ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ: «إِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَنْتَقِصُ أَحَدًا»، أَحَدًا.. لَيْسَ شَرْطًا أَنْ يَنْتَقِصَهُمْ جُمْلَةً، وَلَكِنْ «يَنْتَقِصُ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَاعْلَمْ أَنَّهُ زِنْدِيقٌ؛ وَذَلِكَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ عِنْدَنَا حَقٌّ، وَالْقُرْآنَ حَقٌّ، وَإِنَّمَا أَدَّىٰ إِلَيْنَا هَذَا الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَإِنَّمَا يُرِيدُونَ أَنْ يَجْرَحُوا شُهُودَنَا لِيُبْطِلُوا الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ، وَالْجَرْحُ بِهِمْ أَوْلَىٰ، وَهُمْ زَنَادِقَةٌ»؛ لِأَنَّهُ إِذَا سَقَطَتِ الثِّقَةُ فِي أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، مَنِ الَّذِي نَقَلَ إِلَيْنَا الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ؟!!

أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ، الَّذِي يَطْعَنُ فِي عَدَالَةِ الصَّحَابَةِ فَهُوَ زِنْدِيقٌ؛ إِنَّمَا يُرِيدُ أَنْ يَجْرَحَ شُهُودَنَا لِيُبْطِلَ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ، وَالْجَرْحُ بِهِمْ أَوْلَىٰ، وَهُمْ زَنَادِقَةٌ.. كَمَا قَالَ أَبُو زُرْعَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ.

=

قَالَ: قَالَ لِي الْأَوْزَاعِيُّ: «يَا بَقِيَّةُ، الْعِلْمُ مَا جَاءَ عَنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَمَا لَمْ يَجِئْ عَنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَلَيْسَ بِعِلْمٍ، يَا بَقِيَّةُ، لَا تَذْكُرْ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ نَبِيِّكَ ﷺ إِلَّا بِخَيْرٍ، وَلَا أَحَدًا مِنْ أُمَّتِكَ، وَإِذَا سَمِعْتَ أَحَدًا يَقَعُ فِي غَيْرِهِ فَاعْلَمْ أَنَّهُ إِنَّمَا يَقُولُ: أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ»

(١) صحيح، أخرجه الخطيب في «الكفاية» (ص/ ٤٩) (المكتبة العلمية – المدينة المنورة)، وابن عساكر في «تاريخه» (٣٨/ ٣٢)، عن أبي زرعة أنه قال: «إِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَنْتَقِصُ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَاعْلَمْ أَنَّهُ زِنْدِيقٌ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ عِنْدَنَا حَقٌّ، وَالْقُرْآنَ حَقٌّ، وَإِنَّمَا أَدَّىٰ إِلَيْنَا هَذَا الْقُرْآنَ وَالسُّنَنَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَإِنَّمَا يُرِيدُونَ أَنْ يُجَرِّحُوا شُهُودَنَا لِيُبْطِلُوا الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ، وَالْجَرْحُ بِهِمْ أَوْلَىٰ، وَهُمْ زَنَادِقَةٌ».

قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَذْكُرُ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِسُوءٍ، فَاتَّهِمْهُ عَلَىٰ الْإِسْلَامِ»(١).

وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ(٢): «وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ: سَلَامَةُ قُلُوبِهِمْ وَأَلْسِنَتِهِمْ لِأَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ».

وَقَالَ الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ مُبَيِّنًا حَقِيقَةَ فَضْلِ الصَّحَابَةِ: «وَلَوْ لَمْ يَرِدْ مِنَ اللهِ ﷻ وَرَسُولِهِ فِيهِمْ شَيْءٌ مِمَّا ذَكَرْنَاهُ، لَأَوْجَبَتِ الْحَالُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا مِنَ الْهِجْرَةِ وَالْجِهَادِ وَالنُّصْرَةِ، وَبَذْلِ الْمُهَجِ وَالْأَمْوَالِ، وَقَتْلِ الْآبَاءِ وَالْأَبْنَاءِ، وَالْمُنَاصَحَةِ فِي الدِّينِ، وَقُوَّةِ الْإِيمَانِ وَالْيَقِينِ؛ لَأَوْجَبَ ذَلِكَ كُلُّهُ الْقَطْعَ عَلَىٰ عَدَالَتِهِمْ، وَأَوْجَبَ الْقَطْعَ بِاعْتِقَادِ نَزَاهَتِهِمْ، وَأَنَّهُمْ أَفْضَلُ مِنْ جَمِيعِ الْمُعَدَّلِينَ وَالْمُزَكَّيْنَ الَّذِينَ يَجِيئُونَ مِنْ بَعْدِهِمْ أَبَدًا»(٣).

---

(١) صحيح، أخرجه أبو طاهر المخلص في «المخلصيات» (٣/ ٣١٧) (ط/ الأوقاف، قطر)، واللالكائي في «أصول الاعتقاد» (٢٣٥٩)، والقاضي المارِسْتان في «المشيخة الكبرىٰ» (٢/ ٧٦٦) (دار عالم الفوائد)، والأصبهاني في «الحجة» (٢/ ٣٩٧)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٩/ ٢٠٩)، من طريق: عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ الْمَيْمُونِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ يَقُولُ: «مَا لَهُمْ وَلَنَا أَسْأَلُ اللهَ الْعَافِيَةَ»، وَقَالَ لِي: «يَا أَبَا الْحَسَنِ، إِذَا رَأَيْتَ أَحَدًا يَذْكُرُ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِسُوءٍ فَاتَّهِمْهُ عَلَىٰ الْإِسْلَامِ».

(٢) في «مجموع الفتاوىٰ» (٣/ ١٥٢).

(٣) في «الكفاية» للخطيب البغدادي (ص/ ٤٨).

ثُمَّ قَالَ: «هَذَا مَذْهَبُ كَافَّةِ الْعُلَمَاءِ، وَمَنْ يُعْتَدُّ بِقَوْلِهِ مِنَ الْفُقَهَاءِ»(١).

فَالْوَاجِبُ عَلَيْنَا تجَاهَ أَصْحَابِ نَبِيِّنَا ﷺ: سَلَامَةُ قُلُوبِنَا وَأَلْسِنَتِنَا لَهُمْ، وَنَشْرُ فَضَائِلِهِمْ، وَالْكَفُّ عَنْ مَسَاوِيهِمْ وَمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ، وَالتَّنْوِيهُ بِشَأْنِهِمْ كَمَا نَوَّهَ -تَعَالَىٰ- بِذِكْرِهِمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ، وَثَبَتَتِ الْأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ فِي الْكُتُبِ الْمَشْهُورَةِ مِنَ الْأُمَّاتِ وَغَيْرِهَا فِي فَضَائِلِهِمْ.

وَلَكِنَّ الْمَخْذُولِينَ حَادُوا عَنْ ذَلِكَ كُلِّهِ، وَعَنْ هَذَا الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، وَأَطْلَقُوا أَلْسِنَتَهُمْ فِيمَنْ لَا يَرْقَىٰ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ -مَهْمَا عَمِلَ وَعَلِمَ- إِلَىٰ مَوَاطِنِ أَقْدَامِ أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ.(*).

وَنَعْلَمُ وَنَعْتَقِدُ أَنَّ «اللهَ -تَعَالَىٰ- اطَّلَعَ عَلَىٰ أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ»(٣). وَالْحَدِيثُ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» مِنْ رِوَايَةِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَكَانُوا ثَلَاثَمِائَةٍ وَبِضْعَةَ عَشَرَ.

وَنَعْلَمُ وَنَعْتَقِدُ أَنَّهُ «لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ مِمَّنْ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ»(٤).

---

(١) في «الكفاية» للخطيب البغدادي (ص/ ٤٨).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ: «شَرْحُ أُصُولِ السُّنَّةِ لِلْإِمَامِ الْحُمَيْدِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ» (الْمُحَاضَرَةُ الثَّامِنَةُ: عَقِيدَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ)، الثُّلَاثَاءُ ١٠ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ١٤٣٤هـ| ٢٢-١-٢٠١٣م.

(٣) أخرجه البخاري (٣٠٠٧، ٣٠٨١، ٣٩٨٣، ٤٢٧٤، ٤٨٩٠، ٦٢٥٩، ٦٩٣٩)، ومسلم (٢٤٩٤)، من حديث: عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ.

(٤) أخرجه مسلم (٢٤٩٦)، من حديث: جَابِرٍ، عَنْ أُمِّ مُبَشِّرٍ.

وَنَشْهَدُ بِأَنَّهُمْ أَفْضَلُ الْقُرُونِ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ الَّتِي هِيَ أَفْضَلُ الْأُمَمِ، وَأَنَّ «مَنْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مِمَّنْ بَعْدَهُمْ لَمْ يَبْلُغْ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ»(١)، مَعَ الِاعْتِقَادِ أَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا مَعْصُومِينَ، بَلْ يَجُوزُ عَلَيْهِمُ الْخَطَأُ، وَلَكِنَّهُمْ مُجْتَهِدُونَ؛ لِلْمُصِيبِ مِنْهُمْ أَجْرَانِ، وَلِمَنْ أَخْطَأَ أَجْرٌ وَاحِدٌ عَلَىٰ اجْتِهَادِهِ، وَخَطَؤُهُ مَغْفُورٌ.

وَلَهُمْ مِنَ الْفَضَائِلِ وَالصَّالِحَاتِ وَالسَّوَابِقِ مَا يُذْهِبُ سَيِّئَ مَا وَقَعَ مِنْهُمْ إِنْ وَقَعَ، وَهَلْ يُغَيِّرُ يَسِيرُ النَّجَاسَةِ الْبَحْرَ إِذَا وَقَعَتْ فِيهِ؟!! رضي الله عنهم.

وَكَذَلِكَ الْقَوْلُ فِي زَوْجَاتِ النَّبِيِّ ﷺ أَهْلِ بَيْتِهِ الَّذِينَ أَذْهَبَ اللهُ عَنْهُمُ الرِّجْسَ وَطَهَّرَهُمْ تَطْهِيرًا، وَنَبْرَأُ مِنْ كُلِّ مَنْ وَقَعَ فِي صَدْرِهِ أَوْ عَلَىٰ لِسَانِهِ سُوءٌ عَلَىٰ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَهْلِ بَيْتِهِ أَوْ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْهُمْ، وَنُشْهِدُ اللهَ -تَعَالَىٰ- عَلَىٰ حُبِّهِمْ وَمُوَالَاتِهِمْ، وَالذَّبِّ عَنْهُمْ مَا اسْتَطَعْنَا؛ حِفْظًا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ فِي وَصِيَّتِهِ؛ إِذْ يَقُولُ: «**لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي**»(٢)، وَكَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**اللهَ اللهَ فِي أَصْحَابِي**»(٣)، وَهُوَ حَدِيثٌ حَسَنٌ أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ مِنْ رِوَايَةِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُغَفَّلٍ رضي الله عنه.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤١)، من حديث: أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ**».

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه الترمذي (٣٨٦٢)، وأحمد (١٦٨٠٣، ٢٠٥٤٩، ٢٠٥٥٠، ٢٠٥٧٨)، من حديث: عَبْدِ اللهِ بْنِ مُغَفَّلٍ الْمُزَنِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اللهَ اللهَ فِي أَصْحَابِي، لَا** =

وَقَالَ ﷺ: «**إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ؛ أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللهِ، فَخُذُوا بِكِتَابِ اللهِ وَتَمَسَّكُوا بِهِ، ثُمَّ قَالَ: وَأَهْلُ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي**»(١). وَالْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ مِنْ رِوَايَةِ أَبِي سَعِيدٍ.

فَأَهْلُ السُّنَّةِ مَوْقِفُهُمْ مِنَ الِاخْتِلَافِ الَّذِي وَقَعَ بَيْنَ الصَّحَابَةِ وَمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ فِي وَقْتِ الْفِتْنَةِ مَحْكُومٌ بِهَذَا الْمَوْقِفِ الْعَامِّ تِجَاهَ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ، وَالْحُرُوبُ الَّتِي حَصَلَتْ بَيْنَهُمْ وَمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ مِنَ الِاخْتِلَافِ، فَمَوْقِفُ أَهْلِ السُّنَّةِ مِمَّا يُنْسَبُ إِلَىٰ الصَّحَابَةِ مِنْ مَسَاوِئَ وَمَثَالِبَ اتَّخَذَهَا أَعْدَاءُ اللهِ سَبَبًا لِلْوَقِيعَةِ فِيهِمْ وَالنَّيْلِ مِنْهُمْ.. فَمَوْقِفُ أَهْلِ السُّنَّةِ مِنْهُمْ: أَنَّهُمْ يُمْسِكُونَ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَ الصَّحَابَةِ.

فَالصَّحَابَةُ رضي الله عنهم وَقَعَتْ بَيْنَهُمْ بَعْدَ مَقْتَلِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه نِزَاعَاتٌ، وَاشْتَدَّ الْأَمْرُ بَعْدَ مَقْتَلِ عُثْمَانَ رضي الله عنه، وَوَقَعَ بَيْنَ الصَّحَابَةِ مَا وَقَعَ مِمَّا أَدَّىٰ إِلَىٰ الْقِتَالِ، وَهَذِهِ الْقَضَايَا مَشْهُورَةٌ، وَقَدْ وَقَعَتْ بِلَا شَكٍّ عَنْ تَأْوِيلٍ وَاجْتِهَادٍ، كُلٌّ مِنْهُمْ يَظُنُّ أَنَّهُ عَلَىٰ حَقٍّ.

=

تَتَّخِذُوهُمْ غَرَضًا بَعْدِي، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ فَبِحُبِّي أَحَبَّهُمْ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَبِبُغْضِي أَبْغَضَهُمْ، وَمَنْ آذَاهُمْ فَقَدْ آذَانِي، وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَىٰ اللهَ، وَمَنْ آذَىٰ اللهَ فَيُوشِكُ أَنْ يَأْخُذَهُ».

(١) أخرجه مسلم (٢٤٠٨)، من حديث: زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ، قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمًا فِينَا خَطِيبًا، بِمَاءٍ يُدْعَىٰ خُمًّا بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَىٰ عَلَيْهِ، وَوَعَظَ وَذَكَّرَ، ثُمَّ قَالَ: «**أَمَّا بَعْدُ، أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ، فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبَ، وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللهِ، فِيهِ الْهُدَىٰ وَالنُّورُ، فَخُذُوا بِكِتَابِ اللهِ، وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ**»، فَحَثَّ عَلَىٰ كِتَابِ اللهِ وَرَغَّبَ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: «**وَأَهْلُ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي**».

وَلَا يُمْكِنُ أَنْ نَقُولَ: إِنَّ عَائِشَةَ وَالزُّبَيْرَ بْنَ الْعَوَّامِ قَاتَلَا عَلِيًّا رضي الله عنهم وَهُمْ يَعْتَقِدُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ بَاطِلٍ وَأَنَّ عَلِيًّا عَلَىٰ حَقٍّ! وَاعْتِقَادُهُمْ أَنَّهُمْ عَلَىٰ حَقٍّ لَا يَسْتَلْزِمُ أَنْ يَكُونُوا قَدْ أَصَابُوا الْحَقَّ، وَلَكِنْ إِذَا كَانُوا مُخْطِئِينَ وَنَعْلَمُ أَنَّهُمْ لَمْ يُقْدِمُوا عَلَىٰ هَذَا الْأَمْرِ إِلَّا عَنِ اجْتِهَادٍ، فَإِنَّهُ ثَبَتَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ «**إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ**»(١). وَالْحَدِيثُ فِي «الصَّحِيحَيْنِ».

فَالصَّحَابَةُ رضي الله عنهم مَا وَقَعَ مِنْهُمْ مِنْ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، فَالْقَوْلُ فِيهِمْ أَنَّهُمْ مُخْطِئُونَ مُجْتَهِدُونَ، فَلَهُمْ أَجْرٌ وَاحِدٌ.

هَذَا مَا يَنْبَغِي عَلَيْنَا تِجَاهَ أَصْحَابِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ.

وَفَضَائِلُ الصَّحَابَةِ بِإِجْمَالٍ هِيَ: الْإِيمَانُ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَالْهِجْرَةُ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَالنُّصْرَةُ لِدِينِ اللهِ، وَالْعِلْمُ النَّافِعُ، وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ، وَهُمْ خَيْرُ الْخَلْقِ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، وَهُمُ الصَّفْوَةُ مِنْ قُرُونِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَهَذِهِ الْأُمَّةُ خَيْرُ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ.

فَمَنْ نَظَرَ فِي سِيرَةِ الْقَوْمِ بِعِلْمٍ وَبَصِيرَةٍ وَمَا مَنَّ اللهُ عَلَيْهِمْ بِهِ مِنَ الْفَضَائِلِ، عَلِمَ يَقِينًا أَنَّهُمْ خَيْرُ الْخَلْقِ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ.

---

(١) أخرجه البخاري (٧٣٥٢)، ومسلم (١٧١٦)، من حديث: عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ**».

إِذَا نَظَرْتَ بِعِلْمٍ وَبَصِيرَةٍ وَإِنْصَافٍ فِي مَحَاسِنِ الْقَوْمِ وَمَا أَعْطَاهُمُ اللهُ مِنَ الْفَضَائِلِ؛ عَلِمْتَ يَقِينًا أَنَّهُمْ خَيْرُ الْخَلْقِ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ، فَهُمْ خَيْرٌ مِنَ الْحَوَارِيِّينَ أَصْحَابِ عِيسَىٰ، وَخَيْرٌ مِنَ النُّقَبَاءِ أَصْحَابِ مُوسَىٰ، وَخَيْرٌ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَ نُوحٍ وَمَعَ هُودٍ وَغَيْرِهِمْ.

لَا يُوجَدُ أَحَدٌ فِي أَتْبَاعِ الْأَنْبِيَاءِ أَفْضَلَ مِنَ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم، وَالْأَمْرُ فِي هَذَا ظَاهِرٌ مَعْلُومٌ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وَخَيْرُنَا الصَّحَابَةُ، وَلِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَيْرُ الْخَلْقِ فَأَصْحَابُهُ خَيْرُ الْأَصْحَابِ بِلَا شَكٍّ، هَذَا عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ.(*).

مِنْ كُلِّ ذَلِكَ يَعْتَقِدُ أَهْلُ السُّنَّةِ أَنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَفْضَلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا ﷺ، وَأَعْلَاهُمْ مَنْزِلَةً وَمَكَانَةً عِنْدَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَيَعْتَقِدُونَ أَنَّ الصَّحَابَةَ جَمِيعًا مُشْتَرِكُونَ فِي هَذَا الْفَضْلِ الْعَظِيمِ، مَشْمُولُونَ بِجَمِيلِ الثَّنَاءِ وَالْكَرَامَةِ وَالْوَعْدِ الْحَسَنِ مِنَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.(*/٢).

❀❀❀

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ: «شَرْحُ أُصُولِ السُّنَّةِ لِلْإِمَامِ الْحُمَيْدِيِّ رَحِمَهُ اللهُ» (الْمُحَاضَرَةُ التَّاسِعَةُ: الْوَاجِبُ عَلَيْنَا تِجَاهَ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم، وَحُكْمُ مَنْ سَبَّهُمْ، وَذِكْرُ تَبَايُنِهِمْ فِي الْفَضْلِ)، الْأَرْبِعَاءُ ١١ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ١٤٣٤هـ| ٢٣-١-٢٠١٣م.

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ: «شَرْحُ أُصُولِ السُّنَّةِ لِلْإِمَامِ الْحُمَيْدِيِّ رَحِمَهُ اللهُ» (الْمُحَاضَرَةُ الثَّامِنَةُ: عَقِيدَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم)، الثُّلَاثَاءُ ١٠ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ١٤٣٤هـ| ٢٢-١-٢٠١٣م.

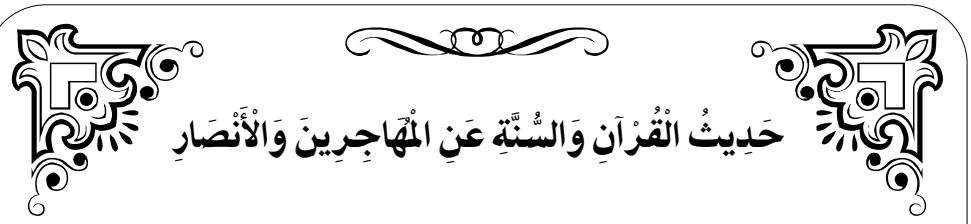

حَدِيثُ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ عَنِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ

لَقَدْ أَثْنَىٰ رَبُّنَا -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ- عَلَىٰ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم، وَأَثْنَىٰ عَلَيْهِمْ نَبِيُّهُ ﷺ، وَرَضِيَ عَنْهُمْ رَبُّنَا، وَوَعَدَهُمُ الْحُسْنَىٰ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة: ١٠٠].

«السَّابِقُونَ هُمُ الَّذِينَ سَبَقُوا هَذِهِ الْأُمَّةَ وَبَدَرُوهَا إِلَىٰ الْإِيمَانِ، وَالْهِجْرَةِ، وَالْجِهَادِ، وَإِقَامَةِ دِينِ اللهِ ﴿مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللهِ وَرِضْوَانًا، وَيَنْصُرُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ، أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ، ﴿وَ﴾ مِنَ ﴿الْأَنْصَارِ﴾: الَّذِينَ ﴿تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩].

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾ بِالِاعْتِقَادَاتِ وَالْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ، فَهَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ سَلِمُوا مِنَ الذَّمِّ، وَحَصَلَ لَهُمْ نِهَايَةُ الْمَدْحِ، وَأَفْضَلُ الْكَرَامَاتِ مِنَ اللهِ.

﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾: وَرِضَاهُ -تَعَالَىٰ- أَكْبَرُ مِنْ نَعِيمِ الْجَنَّةِ، ﴿وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ الْجَارِيَةُ الَّتِي تُسَاقُ إِلَىٰ سَقْيِ الْجِنَانِ،

وَالْحَدَائِقِ الزَّاهِيَةِ الزَّاهِرَةِ، وَالرِّيَاضِ النَّاضِرَةِ، ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا، وَلَا يَطْلُبُونَ مِنْهَا بَدَلًا؛ لِأَنَّهُمْ مَهْمَا تَمَنَّوْهُ أَدْرَكُوهُ، وَمَهْمَا أَرَادُوهُ وَجَدُوهُ.

﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ الَّذِي حَصَلَ لَهُمْ فِيهِ كُلُّ مَحْبُوبٍ لِلنُّفُوسِ، وَلَذَّةٍ لِلْأَرْوَاحِ، وَنَعِيمٍ لِلْقُلُوبِ، وَشَهْوَةٍ لِلْأَبْدَانِ، وَانْدَفَعَ عَنْهُمْ كُلُّ مَحْذُورٍ»(١).

وَقَالَ رَبُّنَا -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ-: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح: ٢٩].

«يُخْبِرُ -تَعَالَىٰ- عَنْ رَسُولِهِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ أَنَّهُمْ بِأَكْمَلِ الصِّفَاتِ، وَأَجَلِّ الْأَحْوَالِ، وَأَنَّهُمْ ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ أَيْ: جَادِّينَ وَمُجْتَهِدِينَ فِي عَدَاوَتِهِمْ، وَسَاعِينَ فِي ذَلِكَ بِغَايَةِ جُهْدِهِمْ، فَلَمْ يَرَوْا مِنْهُمْ إِلَّا الْغِلْظَةَ وَالشِّدَّةَ؛ فَلِذَلِكَ ذَلَّ أَعْدَاؤُهُمْ لَهُمْ وَانْكَسَرُوا، وَقَهَرَهُمُ الْمُسْلِمُونَ، ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ أَيْ: مُتَحَابُّونَ مُتَرَاحِمُونَ مُتَعَاطِفُونَ كَالْجَسَدِ الْوَاحِدِ، يُحِبُّ أَحَدُهُمْ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ، هَذِهِ مُعَامَلَتُهُمْ مَعَ الْخَلْقِ، وَأَمَّا مُعَامَلَتُهُمْ مَعَ الْخَالِقِ؛ فَإِنَّكَ ﴿تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ أَيْ: وَصْفُهُمْ كَثْرَةُ الصَّلَاةِ الَّتِي أَجَلُّ أَرْكَانِهَا الرُّكُوعُ وَالسُّجُودُ، ﴿يَبْتَغُونَ﴾ بِتِلْكَ الْعِبَادَةِ ﴿فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾ أَيْ: هَذَا مَقْصُودُهُمْ؛ بُلُوغُ رِضَا رَبِّهِمْ، وَالْوُصُولُ إِلَىٰ ثَوَابِهِ.

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص: ٤٠٠).

﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ أَيْ: قَدْ أَثَّرَتِ الْعِبَادَةُ مِنْ كَثْرَتِهَا وَحُسْنِهَا فِي وُجُوهِهِمْ حَتَّىٰ اسْتَنَارَتْ، لَمَّا اسْتَنَارَتْ بِالصَّلَاةِ بَوَاطِنُهُمُ اسْتَنَارَتْ بِالْجَلَالِ ظَوَاهِرُهُمْ.

﴿ذَٰلِكَ﴾ الْمَذْكُورُ ﴿مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ أَيْ: هَذَا وَصْفُهُمُ الَّذِي وَصَفَهُمُ اللهُ بِهِ مَذْكُورٌ بِالتَّوْرَاةِ هَكَذَا.

وَأَمَّا مَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ؛ فَإِنَّهُمْ مَوْصُوفُونَ بِوَصْفٍ آخَرَ، وَأَنَّهُمْ فِي كَمَالِهِمْ وَتَعَاوُنِهِمْ ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ﴾ أَيْ: أَخْرَجَ فِرَاخَهُ فَوَازَرَتْهُ فِرَاخُهُ فِي الشَّبَابِ وَالِاسْتِوَاءِ، ﴿فَٱسْتَغْلَظَ﴾ ذَلِكَ الزَّرْعُ، أَيْ: قَوِيَ وَغَلُظَ ﴿فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾ جَمْعُ سَاقٍ، ﴿يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ﴾ مِنْ كَمَالِهِ وَاسْتِوَائِهِ، وَحُسْنِهِ وَاعْتِدَالِهِ، كَذَلِكَ الصَّحَابَةُ ﷺ، هُمْ كَالزَّرْعِ فِي نَفْعِهِمْ لِلْخَلْقِ، وَاحْتِيَاجِ النَّاسِ إِلَيْهِمْ، فَقُوَّةُ إِيمَانِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ بِمَنْزِلَةِ قُوَّةِ عُرُوقِ الزَّرْعِ وَسُوقِهِ، وَكَوْنُ الصَّغِيرِ وَالْمُتَأَخِّرِ إِسْلَامُهُ قَدْ لَحِقَ الْكَبِيرَ السَّابِقَ، وَوَازَرَهُ وَعَاوَنَهُ عَلَىٰ مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ إِقَامَةِ دِينِ اللهِ وَالدَّعْوَةِ إِلَيْهِ؛ كَالزَّرْعِ الَّذِي أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ حِينَ يَرَوْنَ اجْتِمَاعَهُمْ وَشِدَّتَهُمْ عَلَىٰ دِينِهِمْ، وَحِينَ يَتَصَادَمُونَ هُمْ وَهُمْ فِي مَعَارِكِ النِّزَالِ وَمَعَامِعِ الْقِتَالِ.

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾: فَالصَّحَابَةُ ﷺ الَّذِينَ جَمَعُوا بَيْنَ الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ قَدْ جَمَعَ اللهُ لَهُمْ بَيْنَ الْمَغْفِرَةِ الَّتِي مِنْ لَوَازِمِهَا: وِقَايَةُ شُرُورِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ: وَالْأَجْرُ الْعَظِيمُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»[1].

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص: ٩٣٨-٩٣٩).

وَقَالَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ مُعْلِنًا رِضَاهُ: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾﴾ [الفتح: ١٨].

«يُخْبِرُ -تَعَالَىٰ- بِفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ بِرِضَاهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ؛ إِذْ يُبَايِعُونَ الرَّسُولَ ﷺ تِلْكَ الْمُبَايَعَةَ الَّتِي بَيَّضَتْ وُجُوهَهُمْ، وَاكْتَسَبُوا بِهَا سَعَادَةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَكَانَ سَبَبُ هَذِهِ الْبَيْعَةِ -الَّتِي يُقَالُ لَهَا (بَيْعَةُ الرِّضْوَانِ)؛ لِرِضَا اللهِ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ فِيهَا، وَيُقَالُ لَهَا (بَيْعَةُ أَهْلِ الشَّجَرَةِ)-: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمَّا دَارَ الْكَلَامُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ فِي شَأْنِ مَجِيئِهِ، وَأَنَّهُ لَمْ يَجِئْ لِقِتَالِ أَحَدٍ، وَإِنَّمَا جَاءَ زَائِرًا هَذَا الْبَيْتَ، مُعَظِّمًا لَهُ، فَبَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ لِمَكَّةَ فِي ذَلِكَ، فَجَاءَ خَبَرٌ غَيْرُ صَادِقٍ أَنَّ عُثْمَانَ قَتَلَهُ الْمُشْرِكُونَ، فَجَمَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَكَانُوا نَحْوًا مِنْ أَلْفٍ وَخَمْسِ مِائَةٍ، فَبَايَعُوهُ تَحْتَ شَجَرَةٍ عَلَىٰ قِتَالِ الْمُشْرِكِينَ، وَأَلَّا يَفِرُّوا حَتَّىٰ يَمُوتُوا.

فَأَخْبَرَ -تَعَالَىٰ- أَنَّهُ رَضِيَ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ فِي تِلْكَ الْحَالِ الَّتِي هِيَ مِنْ أَكْبَرِ الطَّاعَاتِ وَأَجَلِّ الْقُرُبَاتِ، فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْإِيمَانِ، فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ شُكْرًا لَهُمْ عَلَىٰ مَا فِي قُلُوبِهِمْ، زَادَهُمْ هُدًى، وَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْجَزَعِ مِنْ تِلْكَ الشُّرُوطِ الَّتِي شَرَطَهَا الْمُشْرِكُونَ عَلَىٰ رَسُولِهِ، فَأَنْزَلَ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةَ تُثَبِّتُهُمْ، وَتَطْمَئِنُّ بِهَا قُلُوبُهُمْ، وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا؛ وَهُوَ: فَتْحُ خَيْبَرَ، لَمْ يَحْضُرْهُ سِوَىٰ أَهْلِ الْحُدَيْبِيَةِ، فَاخْتُصُّوا بِخَيْبَرَ وَغَنَائِمِهَا جَزَاءً لَهُمْ، وَشُكْرًا

عَلَىٰ مَا فَعَلُوهُ مِنْ طَاعَةِ اللهِ تَعَالَىٰ وَالْقِيَامِ بِمَرْضَاتِهِ»(١).

وَقَالَ -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ-: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ ۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾﴾ [الأنفال: ٧٢].

«هَذَا عَقْدُ مُوَالَاةٍ وَمَحَبَّةٍ عَقَدَهَا اللهُ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ، وَتَرَكُوا أَوْطَانَهُمْ لِلَّهِ، لِأَجْلِ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَبَيْنَ الْأَنْصَارِ الَّذِينَ آوَوْا رَسُولَ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابَهُ، وَأَعَانُوهُمْ فِي دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ، فَهَؤُلَاءِ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ؛ لِكَمَالِ إِيمَانِهِمْ، وَتَمَامِ اتِّصَالِ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ ۚ﴾؛ فَإِنَّهُمْ قَطَعُوا وَلَايَتَكُمْ بِانْفِصَالِهِمْ عَنْكُمْ فِي وَقْتِ شِدَّةِ الْحَاجَةِ إِلَىٰ الرِّجَالِ، فَلَمَّا لَمْ يُهَاجِرُوا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ وَلَايَةِ الْمُؤْمِنِينَ شَيْءٌ؛ لَكِنَّهُمْ ﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ﴾ أَيْ: لِأَجْلِ قِتَالِ مَنْ قَاتَلَهُمْ لِأَجْلِ دِينِهِمْ؛ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ وَالْقِتَالُ مَعَهُمْ، وَأَمَّا مَنْ قَاتَلُوهُمْ لِغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمَقَاصِدِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ نَصْرُهُمْ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ۗ﴾ أَيْ: عَهْدٌ بِتَرْكِ الْقِتَالِ، فَإِنَّهُمْ إِذَا أَرَادَ الْمُؤْمِنُونَ الْمُتَمَيِّزُونَ الَّذِينَ لَمْ يُهَاجِرُوا قِتَالَهُمْ فَلَا تُعِينُوهُمْ عَلَيْهِمْ؛ لِأَجْلِ مَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِنَ الْمِيثَاقِ.

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص: ٩٣٦).

﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْأَحْوَالِ، فَيُشَرِّعُ لَكُمْ مِنَ الْأَحْكَامِ مَا يَلِيقُ بِكُمْ»(١).

وَقَالَ -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ-: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُواْ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحديد: ١٠].

«﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُواْ ۚ﴾، الْمُرَادُ بِالْفَتْحِ هُنَا: هُوَ فَتْحُ الْحُدَيْبِيَةِ، حِينَ جَرَىٰ مِنَ الصُّلْحِ بَيْنَ الرَّسُولِ وَبَيْنَ قُرَيْشٍ مِمَّا هُوَ أَعْظَمُ الْفُتُوحَاتِ الَّتِي حَصَلَ بِهَا نَشْرُ الْإِسْلَامِ، وَاخْتِلَاطُ الْمُسْلِمِينَ بِالْكَافِرِينَ، وَالدَّعْوَةُ إِلَىٰ الدِّينِ مِنْ غَيْرِ مُعَارِضٍ، فَدَخَلَ النَّاسُ مِنْ ذَلِكَ الْوَقْتِ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا، وَاعْتَزَّ الْإِسْلَامُ عِزًّا عَظِيمًا، وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ قَبْلَ هَذَا الْفَتْحِ لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ الدَّعْوَةِ إِلَىٰ الدِّينِ فِي غَيْرِ الْبُقْعَةِ الَّتِي أَسْلَمَ أَهْلُهَا؛ كَالْمَدِينَةِ وَتَوَابِعِهَا، وَكَانَ مَنْ أَسْلَمَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ وَغَيْرِهَا مِنْ دِيَارِ الْمُشْرِكِينَ يُؤْذَىٰ وَيَخَافُ؛ فَلِذَلِكَ كَانَ مَنْ أَسْلَمَ قَبْلَ الْفَتْحِ وَأَنْفَقَ وَقَاتَلَ أَعْظَمَ دَرَجَةً وَأَجْرًا وَثَوَابًا مِمَّنْ لَمْ يُسْلِمْ وَيُقَاتِلْ وَيُنْفِقْ إِلَّا بَعْدَ ذَلِكَ، كَمَا هُوَ مُقْتَضَىٰ الْحِكْمَةِ؛ وَلِهَذَا كَانَ السَّابِقُونَ وَفُضَلَاءُ الصَّحَابَةِ غَالِبُهُمْ أَسْلَمَ قَبْلَ الْفَتْحِ.

وَلَمَّا كَانَ التَّفْضِيلُ بَيْنَ الْأُمُورِ قَدْ يُتَوَهَّمُ مِنْهُ نَقْصٌ وَقَدْحٌ فِي الْمَفْضُولِ؛ احْتَرَزَ -تَعَالَىٰ- مِنْ هَذَا بِقَوْلِهِ: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ﴾ أَيِ: الَّذِينَ أَسْلَمُوا وَقَاتَلُوا

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص: ٣٧٢-٣٧٣).

وَأَنْفَقُوا مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَبَعْدَهُ كُلُّهُمْ وَعَدَهُ اللهُ الْجَنَّةَ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَىٰ فَضْلِ الصَّحَابَةِ كُلِّهِمْ رضي الله عنهم؛ حَيْثُ شَهِدَ اللهُ لَهُمْ بِالْإِيمَانِ، وَوَعَدَهُمُ الْجَنَّةَ.

﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾: فَيُجَازِي كُلًّا مِنْكُمْ عَلَىٰ مَا يَعْلَمُهُ مِنْ عَمَلِهِ، ثُمَّ حَثَّ عَلَىٰ النَّفَقَةِ فِي سَبِيلِهِ؛ لِأَنَّ الْجِهَادَ مُتَوَقِّفٌ عَلَىٰ النَّفَقَةِ فِيهِ، وَبَذْلِ الْأَمْوَالِ فِي التَّجَهُّزِ لَهُ، فَقَالَ: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا﴾: وَهِيَ النَّفَقَةُ الطَّيِّبَةُ الَّتِي تَكُونُ خَالِصَةً لِوَجْهِ اللهِ، مُوَافِقَةً لِمَرْضَاةِ اللهِ؛ مِنْ مَالٍ حَلَالٍ طَيِّبٍ، طَيِّبَةً بِهِ نَفْسُهُ، وَهَذَا مِنْ كَرَمِ اللهِ -تَعَالَىٰ-؛ حَيْثُ سَمَّاهُ قَرْضًا، وَالْمَالُ مَالُهُ، وَالْعَبِيدُ عَبِيدُهُ، وَوَعَدَ بِالْمُضَاعَفَةِ عَلَيْهِ أَضْعَافًا كَثِيرَةً، وَهُوَ الْكَرِيمُ الْوَهَّابُ، وَتِلْكَ الْمُضَاعَفَةُ مَحَلُّهَا وَمَوْضِعُهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَوْمَ كُلٌّ يَتَبَيَّنُ فَقْرُهُ، وَيَحْتَاجُ إِلَىٰ أَقَلِّ شَيْءٍ مِنَ الْجَزَاءِ الْحَسَنِ»[1].

وَقَالَ -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ-: ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ٨ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٩ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾ [الحشر: ٨ - ١٠].

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص: ٩٨٩).

«ذَكَرَ -تَعَالَىٰ- الْحِكْمَةَ وَالسَّبَبَ الْمُوجِبَ لِجَعْلِهِ -تَعَالَىٰ- أَمْوَالَ الْفَيْءِ لِمَنْ قَدَّرَهَا لَهُ، وَأَنَّهُمْ حَقِيقُونَ بِالْإِعَانَةِ، مُسْتَحِقُّونَ لِأَنْ تُجْعَلَ لَهُمْ، وَأَنَّهُمْ مَا بَيْنَ مُهَاجِرِينَ قَدْ هَجَرُوا الْمَحْبُوبَاتِ وَالْمَأْلُوفَاتِ مِنَ الدِّيَارِ، وَالْأَوْطَانِ، وَالْأَحْبَابِ، وَالْخِلَّانِ، وَالْأَمْوَالِ؛ رَغْبَةً فِي اللهِ، وَنُصْرَةً لِدِينِ اللهِ، وَمَحَبَّةً لِرَسُولِ اللهِ، فَهَؤُلَاءِ هُمُ الصَّادِقُونَ الَّذِينَ عَمِلُوا بِمُقْتَضَىٰ إِيمَانِهِمْ، وَصَدَّقُوا إِيمَانَهُمْ بِأَعْمَالِهِمُ الصَّالِحَةِ وَالْعِبَادَاتِ الشَّاقَّةِ، بِخِلَافِ مَنِ ادَّعَىٰ الْإِيمَانَ وَهُوَ لَمْ يُصَدِّقْهُ بِالْجِهَادِ وَالْهِجْرَةِ وَغَيْرِهِمَا مِنَ الْعِبَادَاتِ، وَبَيْنَ أَنْصَارٍ؛ وَهُمُ الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ طَوْعًا وَمَحَبَّةً وَاخْتِيَارًا، وَآوَوْا رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَمَنَعُوهُ مِنَ الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ، وَتَبَوَّءُوا دَارَ الْهِجْرَةِ وَالْإِيمَانِ حَتَّىٰ صَارَتْ مَوْئِلًا وَمَرْجِعًا يَرْجِعُ إِلَيْهِ الْمُؤْمِنُونَ، وَيَلْجَأُ إِلَيْهِ الْمُهَاجِرُونَ، وَيَسْكُنُ بِحِمَاهُ الْمُسْلِمُونَ؛ إِذْ كَانَتِ الْبُلْدَانُ كُلُّهَا بُلْدَانَ حَرْبٍ وَشِرْكٍ وَشَرٍّ، فَلَمْ يَزَلْ أَنْصَارُ الدِّينِ يَأْوُونَ إِلَىٰ الْأَنْصَارِ حَتَّىٰ انْتَشَرَ الْإِسْلَامُ وَقَوِيَ، وَجَعَلَ يَزْدَادُ شَيْئًا فَشَيْئًا، وَيَنْمُو قَلِيلًا قَلِيلًا حَتَّىٰ فَتَحُوا الْقُلُوبَ بِالْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ وَالْقُرْآنِ، وَالْبُلْدَانَ بِالسَّيْفِ وَالسِّنَانِ.

الَّذِينَ مِنْ جُمْلَةِ أَوْصَافِهِمُ الْجَمِيلَةِ: أَنَّهُمْ ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾: وَهَذَا لِمَحَبَّتِهِمْ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ، أَحَبُّوا أَحْبَابَهُ، وَأَحَبُّوا مَنْ نَصَرَ دِينَهُ.

﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ﴾ أَيْ: لَا يَحْسُدُونَ الْمُهَاجِرِينَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ، وَخَصَّهُمْ بِهِ مِنَ الْفَضَائِلِ وَالْمَنَاقِبِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَىٰ سَلَامَةِ صُدُورِهِمْ، وَانْتِفَاءِ الْغِلِّ وَالْحِقْدِ وَالْحَسَدِ عَنْهَا.

وَيَدُلُّ ذَلِكَ عَلَىٰ أَنَّ الْمُهَاجِرِينَ أَفْضَلُ مِنَ الْأَنْصَارِ؛ لِأَنَّ اللهَ قَدَّمَهُمْ بِالذِّكْرِ، وَأَخْبَرَ أَنَّ الْأَنْصَارَ لَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا، فَدَلَّ عَلَىٰ أَنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ- آتَاهُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ الْأَنْصَارَ وَلَا غَيْرَهُمْ، وَلِأَنَّهُمْ جَمَعُوا بَيْنَ النُّصْرَةِ وَالْهِجْرَةِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ أَيْ: وَمِنْ أَوْصَافِ الْأَنْصَارِ الَّتِي فَاقُوا بِهَا غَيْرَهُمْ، وَتَمَيَّزُوا بِهَا عَلَىٰ مَنْ سِوَاهُم: الْإِيثَارُ، وَهُوَ أَكْمَلُ أَنْوَاعِ الْجُودِ، وَهُوَ الْإِيثَارُ بِمَحَابِّ النَّفْسِ مِنَ الْأَمْوَالِ وَغَيْرِهَا، وَبَذْلُهَا لِلْغَيْرِ مَعَ الْحَاجَةِ إِلَيْهَا؛ بَلْ مَعَ الضَّرُورَةِ وَالْخَصَاصَةِ، وَهَذَا لَا يَكُونُ إِلَّا مِنْ خُلُقٍ زَكِيٍّ، وَمَحَبَّةٍ لِلَّهِ -تَعَالَىٰ- مُقَدَّمَةٍ عَلَىٰ مَحَبَّةِ شَهَوَاتِ النَّفْسِ وَلَذَّاتِهَا، وَمِنْ ذَلِكَ: قِصَّةُ الْأَنْصَارِيِّ الَّذِي نَزَلَتِ الْآيَةُ بِسَبَبِهِ، حِينَ آثَرَ ضَيْفَهُ بِطَعَامِهِ وَطَعَامِ أَهْلِهِ وَأَوْلَادِهِ، وَبَاتُوا جِيَاعًا، وَالْإِيثَارُ عَكْسُ الْأَثَرَةِ، فَالْإِيثَارُ مَحْمُودٌ، وَالْأَثَرَةُ مَذْمُومَةٌ؛ لِأَنَّهَا مِنْ خِصَالِ الْبُخْلِ وَالشُّحِّ، وَمَنْ رُزِقَ الْإِيثَارَ فَقَدْ وُقِيَ شُحَّ نَفْسِهِ، وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ، وَوِقَايَةُ شُحِّ النَّفْسِ يَشْمَلُ وِقَايَتَهَا الشُّحَّ فِي جَمِيعِ مَا أَمَرَ بِهِ، فَإِنَّهُ إِذَا وُقِيَ الْعَبْدُ شُحَّ نَفْسِهِ سَمَحَتْ نَفْسُهُ بِأَوَامِرِ اللهِ وَرَسُولِهِ، فَفَعَلَهَا طَائِعًا مُنْقَادًا، مُنْشَرِحًا بِهَا صَدْرُهُ، وَسَمَحَتْ نَفْسُهُ بِتَرْكِ مَا نَهَىٰ اللهُ عَنْهُ وَإِنْ كَانَ مَحْبُوبًا لِلنَّفْسِ تَدْعُو إِلَيْهِ، وَتَطَلَّعُ إِلَيْهِ، وَسَمَحَتْ نَفْسُهُ بِبَذْلِ الْأَمْوَالِ فِي سَبِيلِ اللهِ وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِهِ، وَبِذَلِكَ يَحْصُلُ الْفَلَاحُ وَالْفَوْزُ، بِخِلَافِ مَنْ لَمْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ، بَلِ ابْتُلِيَ بِالشُّحِّ بِالْخَيْرِ الَّذِي هُوَ أَصْلُ الشَّرِّ وَمَادَّتُهُ، فَهَذَانِ الصِّنْفَانِ الْفَاضِلَانِ الزَّكِيَّانِ هُمُ الصَّحَابَةُ الْكِرَامُ وَالْأَئِمَّةُ الْأَعْلَامُ الَّذِينَ حَازُوا مِنَ السَّوَابِقِ وَالْفَضَائِلِ وَالْمَنَاقِبِ مَا سَبَقُوا بِهِ

مَنْ بَعْدَهُمْ، وَأَدْرَكُوا بِهِ مَنْ قَبْلَهُمْ، فَصَارُوا أَعْيَانَ الْمُؤْمِنِينَ، وَسَادَاتِ الْمُسْلِمِينَ، وَقَادَاتِ الْمُتَّقِينَ.

وَحَسْبُ مَنْ بَعْدَهُمْ مِنَ الْفَضْلِ أَنْ يَسِيرَ خَلْفَهُمْ، وَيَأْتَمَّ بِهُدَاهُمْ؛ وَلِهَذَا ذَكَرَ اللهُ مِنَ اللَّاحِقِينَ مَنْ هُوَ مُؤْتَمٌّ بِهِمْ وَسَائِرٌ خَلْفَهُمْ فَقَالَ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ أَيْ: مِنْ بَعْدِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ﴿يَقُولُونَ﴾ عَلَىٰ وَجْهِ النُّصْحِ لِأَنْفُسِهِمْ وَلِسَائِرِ الْمُؤْمِنِينَ: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾.

وَهَذَا دُعَاءٌ شَامِلٌ لِجَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ السَّابِقِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ وَمَنْ قَبْلَهُمْ وَمَنْ بَعْدَهُمْ، وَهَذَا مِنْ فَضَائِلِ الْإِيمَانِ؛ أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَنْتَفِعُ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ، وَيَدْعُو بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ؛ بِسَبَبِ الْمُشَارَكَةِ فِي الْإِيمَانِ الْمُقْتَضِي لِعَقْدِ الْأُخُوَّةِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ، الَّتِي مِنْ فُرُوعِهَا أَنْ يَدْعُوَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ، وَأَنْ يُحِبَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا.

وَلِهَذَا ذَكَرَ اللهُ فِي هَذَا الدُّعَاءِ نَفْيَ الْغِلِّ عَنِ الْقَلْبِ، الشَّامِلَ لِقَلِيلِهِ وَكَثِيرِهِ، الَّذِي إِذَا انْتَفَىٰ ثَبَتَ ضِدُّهُ؛ وَهُوَ الْمَحَبَّةُ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَالْمُوَالَاةُ وَالنُّصْحُ، وَنَحْوُ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ مِنْ حُقُوقِ الْمُؤْمِنِينَ.

فَوَصَفَ اللهُ مَنْ بَعْدَ الصَّحَابَةِ بِالْإِيمَانِ؛ لِأَنَّ قَوْلَهُمْ: ﴿سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ دَلِيلٌ عَلَىٰ الْمُشَارَكَةِ فِيهِ، وَأَنَّهُمْ تَابِعُونَ لِلصَّحَابَةِ فِي عَقَائِدِ الْإِيمَانِ وَأُصُولِهِ، وَهُمْ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ الَّذِينَ لَا يَصْدُقُ هَذَا الْوَصْفُ التَّامُّ إِلَّا عَلَيْهِمْ، وَوَصَفَهُمْ بِالْإِقْرَارِ بِالذُّنُوبِ وَالِاسْتِغْفَارِ مِنْهَا، وَاسْتِغْفَارِ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ، وَاجْتِهَادِهِمْ فِي إِزَالَةِ الْغِلِّ وَالْحِقْدِ عَنْ قُلُوبِهِمْ لِإِخْوَانِهِمُ الْمُؤْمِنِينَ؛ لِأَنَّ دُعَاءَهُمْ

بِذَلِكَ مُسْتَلْزِمٌ لِمَا ذَكَرْنَا، وَمُتَضَمِّنٌ لِمَحَبَّةِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا، وَأَنْ يُحِبَّ أَحَدُهُمْ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ، وَأَنْ يَنْصَحَ لَهُ حَاضِرًا وَغَائِبًا، حَيًّا وَمَيِّتًا، وَدَلَّتِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ عَلَىٰ أَنَّ هَذَا مِنْ جُمْلَةِ حُقُوقِ الْمُؤْمِنِينَ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ، ثُمَّ خَتَمُوا دُعَاءَهُمْ بِاسْمَيْنِ كَرِيمَيْنِ دَالَّيْنِ عَلَىٰ كَمَالِ رَحْمَةِ اللهِ، وَشِدَّةِ رَأْفَتِهِ وَإِحْسَانِهِ بِهِمْ، الَّذِي مِنْ جُمْلَتِهِ؛ بَلْ مِنْ أَجَلِّهِ: تَوْفِيقُهُمْ لِلْقِيَامِ بِحُقُوقِهِ وَحُقُوقِ عِبَادِهِ.

فَهَؤُلَاءِ الْأَصْنَافُ الثَّلَاثَةُ هُمْ أَصْنَافُ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَهُمُ الْمُسْتَحِقُّونَ لِلْفَيْءِ الَّذِي مَصْرِفُهُ رَاجِعٌ إِلَىٰ مَصَالِحِ الْإِسْلَامِ، وَهَؤُلَاءِ أَهْلُهُ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهُ -جَعَلَنَا اللهُ مِنْهُمْ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ-»(١).

هَذِهِ الْآيَاتُ تَتَضَمَّنُ الثَّنَاءَ عَلَىٰ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَعَلَىٰ الَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ، يَسْتَغْفِرُونَ لَهُمْ.

وَأَدِلَّةُ عَدَالَةِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ كَثِيرَةٌ جِدًّا:

يَقُولُ رَبُّنَا -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ-: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾﴾ [الفتح: ١٨].

﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ مِنْ أَصْحَابِكَ الْأَطْهَارِ الْمُطَهَّرِينَ ﴿إِذْ يُبَايِعُونَكَ﴾ بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ ﴿تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ مِنَ الصِّدْقِ وَالْإِيمَانِ وَالْوَفَاءِ ﴿فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ﴾: الطُّمَأْنِينَةَ وَالثَّبَاتَ ﴿عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾.

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص: ١٠٠٣-١٠٠٤).

يَقُولُ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «كُنَّا أَلْفًا وَأَرْبَعَمِئَةٍ»(١) يَعْنِي: فِي الْحُدَيْبِيَةِ، وَهِيَ الَّتِي ذَكَرَهَا اللهُ، وَأَعْلَنَ فِيهَا رِضْوَانَهُ عَمَّنْ بَايَعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ.

فَهَذِهِ الْآيَةُ ظَاهِرَةُ الدَّلَالَةِ عَلَىٰ تَزْكِيَةِ اللهِ لَهُمْ تَزْكِيَةً لَا يُخْبِرُ بِهَا وَلَا يَقْدِرُ عَلَيْهَا إِلَّا اللهُ، وَهِيَ تَزْكِيَةُ بَوَاطِنِهِمْ وَمَا فِي قُلُوبِهِمْ؛ لِأَنَّهُ عَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ، لَا يَقْوَىٰ عَلَىٰ ذِكْرِ ذَلِكَ -لِأَنَّهُ لَا يَعْلَمُهُ- إِلَّا اللهُ، وَهِيَ تَزْكِيَةُ بَوَاطِنِهِمْ وَمَا فِي قُلُوبِهِمْ.

وَمِنْ هُنَا رَضِيَ عَنْهُمْ، وَمَنْ رَضِيَ عَنْهُ -تَعَالَىٰ- لَا يُمْكِنُ مَوْتُهُ عَلَىٰ الْكُفْرِ؛ لِأَنَّ الْعِبْرَةَ بِالْوَفَاةِ عَلَىٰ الْإِسْلَامِ، فَلَا يَقَعُ الرِّضَا مِنْهُ -تَعَالَىٰ- إِلَّا عَلَىٰ مَنْ عَلِمَ مَوْتَهُ عَلَىٰ الْإِسْلَامِ، فَلَمَّا عَلِمَ أَزَلًا أَنَّهُمْ سَيَظَلُّونَ ثَابِتِينَ عَلَىٰ دِينِ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ، وَأَنَّهُمْ سَيَمُوتُونَ عَلَيْهِ؛ أَعْلَنَ اللهُ -رَبُّ الْعَالَمِينَ- رِضَاهُ عَنْهُمْ -رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ جَمِيعًا-.

وَمِمَّا يُؤَكِّدُ هَذَا: مَا ثَبَتَ فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» مِنْ قَوْلِ الرَّسُولِ ﷺ: «**لَا يَدْخُلُ النَّارَ -إِنْ شَاءَ اللهُ- مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ أَحَدٌ، الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَهَا**»(٢).

حَتَّىٰ الَّذِينَ وَقَعُوا فِي عُثْمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَقَالُوا: إِنَّ عُثْمَانَ لَمْ يَشْهَدْ بَدْرًا، وَإِنَّ عُثْمَانَ لَمْ يَشْهَدْ هَذِهِ الْبَيْعَةَ الَّتِي أَعْلَنَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ رِضَاهُ عَمَّنْ بَايَعَهَا رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَأَمَّا عُثْمَانُ فَإِنَّهُ تَخَلَّفَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي مَوْقِعَةِ بَدْرٍ بِأَمْرِ

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٣١٠).

(٢) أخرجه مسلم (٢٤٩٦) من حديث أُمِّ مُبَشِّرٍ الْأَنْصَارِيَّةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ إِذْ خَلَّفَهُ النَّبِيُّ ﷺ عَلَىٰ زَوْجِهِ بِنْتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَكَانَتْ مَرِيضَةً، فَتَخَلَّفَ عُثْمَانُ لِيُمَرِّضَهَا.

وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ لَمْ يَأْتِ مِنَ اللهِ وَلَا مِنْ نَبِيِّهِ ﷺ عَزْمٌ وَتَأْكِيدٌ عَلَىٰ الْمُسْلِمِينَ بِالْخُرُوجِ لِبَدْرٍ، وَإِنَّمَا جَعَلَ اللهُ ﷻ ذَلِكَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ عَلَىٰ سَبِيلِ التَّرْغِيبِ فِيهِ، فَمَنْ شَاءَ أَنْ يَخْرُجَ خَرَجَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، وَمَنْ شَاءَ أَنْ يَتَخَلَّفَ تَخَلَّفَ مِنْ غَيْرِ مَا عَزِيمَةٍ مَاضِيَةٍ، فَهَذِهِ وَاحِدَةٌ.

وَأَمَّا أَنَّهُ تَخَلَّفَ رضي الله عنه عَنْ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ، وَعَنِ الْبَيْعَةِ تَحْتَ الشَّجَرَةِ؛ فَمَعْلُومٌ أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ لَمَّا أَمَرَ عُمَرَ بِأَنْ يَذْهَبَ إِلَىٰ الْقَوْمِ مُفَاوِضًا، وَلِيَعْلَمَ عِلْمَهُمْ؛ قَالَ: «يَا رَسُولَ اللهِ! تَعْلَمُ مَا كَانَ مِنِّي وَمِنْهُمْ، وَمَا كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ، وَلَكِنْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ مَنْ لَهُ وَجْهٌ عِنْدَهُمْ؛ أَدُلُّكَ عَلَىٰ عُثْمَانَ».

وَكَانَ عُثْمَانُ رضي الله عنه حَبِيبًا إِلَىٰ قُرَيْشٍ جِدًّا؛ حَتَّىٰ قَبْلَ أَنْ يُسْلِمَ رضي الله عنه كَانَتِ الْمَرْأَةُ مِنَ الْقُرَشِيَّاتِ إِذَا أَرَادَتْ أَنْ تُهَدْهِدَ وَلِيدَهَا، وَأَنْ تُلَاعِبَ صَبِيَّهَا قَالَتْ:

أُحِبُّـــــكَ وَالـــــرَّحْمَنْ حُـــــبَّ قُـــــرَيْشٍ عُثْمَـــــانْ

فَمَضَىٰ عُثْمَانُ رضي الله عنه لِأَمْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَاحْتُبِسَ بِمَكَّةَ، حَبَسَهُ الْمُشْرِكُونَ هُنَالِكَ، وَمَنَعَتْهُ قُرَيْشٌ مِنَ الْعَوْدَةِ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

وَمَعَ ذَلِكَ لَمَّا بَايَعَ الْمُسْلِمُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَأَعْطَوْهُ صَفْقَةَ قُلُوبِهِمْ، وَكَانُوا يُصَافِحُونَ النَّبِيَّ ﷺ بِأَيْدِيهِمْ؛ وَضَعَ النَّبِيُّ ﷺ شِمَالَهُ عَلَىٰ يَمِينِهِ وَقَالَ ﷺ: «**وَهَذِهِ عَنْ عُثْمَانَ**» فَكَانَتْ يَدُ النَّبِيِّ الْعَدْنَانِ ﷺ خَيْرًا لِعُثْمَانَ مِنْ يَدِ عُثْمَانَ لِنَفْسِهِ رضي الله عنه.

قَالَ ابْنُ حَزْمٍ(١): «فَمَنْ أَخْبَرَنَا اللهُ ﷻ عَنْهُ أَنَّهُ عَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ، وَرَضِيَ عَنْهُمْ، وَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ؛ فَلَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ التَّوَقُّفُ فِي أَمْرِهِمْ، أَوِ الشَّكُّ فِيهِمُ الْبَتَّةَ؛ هَؤُلَاءِ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ».

وَيَقُولُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح: ٢٩].

قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ: وَهَذَا الْوَصْفُ لِجَمِيعِ الصَّحَابَةِ عِنْدَ الْجُمْهُورِ.. لِجَمِيعِ الصَّحَابَةِ عِنْدَ جُمْهُورِ أَهْلِ الْعِلْمِ؛ إِلَّا مَنْ شَذَّ مِمَّنْ لَا يُعْتَدُّ بِخِلَافِهِ، وَأُولَئِكَ كَالذُّبَابِ، لَا يُؤْبَهُ لَهُمْ.

وَأَمَّا الْجُمْهُورُ فَعَلَىٰ أَنَّ هَذَا الْوَصْفَ الْمَذْكُورَ فِي كِتَابِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، الَّذِي نَزَّلَهُ اللهُ عَلَىٰ قَلْبِ الْبَشِيرِ النَّذِيرِ؛ هَذَا الْوَصْفُ لِجَمِيعِ أَصْحَابِ رَسُولِنَا ﷺ، وَرَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

يَقُولُ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾ [التوبة: ١١٧].

---

(١) في «الفصل في الملل والأهواء والنحل» (٤/ ٢٢٥).

حَضَرَ غَزْوَةَ تَبُوكٍ جَمِيعُ مَنْ كَانَ مَوْجُودًا مِنَ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم؛ إِلَّا مَنْ عَذَرَ اللهُ مِنَ النِّسَاءِ وَالْعَجَزَةِ، أَمَّا الثَّلَاثَةُ الَّذِينَ خُلِّفُوا فَقَدْ نَزَلَتْ تَوْبَتُهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ.

فَهَذَا قَلِيلٌ مِنْ كَثِيرٍ جِدًّا فِي كِتَابِ اللهِ عز وجل، مُصَرِّحٌ بِعَدَالَةِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم.

وَأَمَّا نُصُوصُ السُّنَّةِ الثَّابِتَةُ الصَّحِيحَةُ الصَّرِيحَةُ فِي تَفْضِيلِ الصَّحَابَةِ، وَفِي عَدَالَتِهِمْ، وَفِي تَقْدِيمِهِمْ، وَفِي عَدَمِ الْإِذْنِ لِأَحَدٍ أَبَدًا بِالْوُقُوعِ فِي أَعْرَاضِهِمْ؛ فَأَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَىٰ.(*).

أَخْرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» بِسَنَدِهِ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: «**إِنَّ اللهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ، فَابْتَعَثَهُ بِرِسَالَتِهِ، ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ بَعْدَ قَلْبِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم، فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَجَعَلَهُمْ وُزَرَاءَ نَبِيِّهِ، يُقَاتِلُونَ عَلَىٰ دِينِهِ**»(٢). وَهَذَا الْحَدِيثُ حَدِيثٌ حَسَنٌ مَوْقُوفًا، وَلَكِنَّهُ لَا يَصِحُّ مَرْفُوعًا إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم.

وَمِثْلُ هَذَا الْكَلَامِ لَا يُقَالُ مِنْ قِبَلِ الرَّأْيِ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «عَقِيدَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فِي الصَّحَابَةِ» (الْمُحَاضَرَةُ الثَّانِيَةُ)، الثُّلَاثَاءُ ١٨ مِنْ رَجَبٍ ١٤٢٦هـ| ٢٣-٨-٢٠٠٥م.

(٢) سبق تخريجه.

فَيَبْقَىٰ لَنَا: «**ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ بَعْدَ قَلْبِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَجَعَلَهُمْ وُزَرَاءَ نَبِيِّهِ، يُقَاتِلُونَ عَلَىٰ دِينِهِ**».

وَلِلصَّحَابَةِ مَنْزِلَتُهُمْ فِي دِينِ اللهِ ﷻ، وَلَهُمْ قَدْرُهُمْ، وَيَعْلَمُ عَظِيمَ شَرَفِهِمْ وَسَامِقَ مَكَانَتِهِمْ مَنْ هَدَاهُ اللهُ ﷻ إِلَىٰ حَقِيقَةِ الْإِيمَانِ.

وَقَالَ ﷺ لِعُمَرَ: «**وَمَا يُدْرِيكَ؟! لَعَلَّ اللهَ اطَّلَعَ عَلَىٰ أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ**». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، وَمُسْلِمٌ(١)

لَمَّا تَوَرَّطَ حَاطِبُ بْنُ أَبِي بَلْتَعَةَ رضي الله عنه فِي إِفْشَاءِ الْأَمْرِ بِتَجَهُّزِ النَّبِيِّ ﷺ لِفَتْحِ مَكَّةَ، وَأَرْسَلَ خِطَابًا مَعَ ظَعِينَةٍ؛ مِنْ أَجْلِ أَنْ يُخْبِرَهُمْ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِيهِمْ صُلْبِيًّا أَصْلِيًّا، وَإِنَّمَا كَانَ مِنْ حَوَاشِيهِمْ، فَأَرَادَ أَنْ يَصْطَنِعَ عِنْدَهُمْ يَدًا، وَيَعْلَمُ أَنَّ اللهَ ﷻ نَاصِرٌ عَبْدَهُ وَنَبِيَّهُ ﷺ، فَوَقَعَ فِيمَا وَقَعَ فِيهِ، فَأَعْلَمَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ نَبِيَّهُ ﷺ، وَأَرْسَلَ مَنْ أَتَىٰ بِالْخِطَابِ بِالْكِتَابِ مِنَ الظَّعِينَةِ -عَلَىٰ مَا هُوَ مَعْلُومٌ فِي ذَلِكَ الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ-، فَلَمَّا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لَهُ مَا قَالَ مُرَاجِعًا؛ قَالَ عُمَرُ رضي الله عنه: «يَا رَسُولَ اللهِ! مُرْنِي أَوْ دَعْنِي فَلْأَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ».

فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «**وَمَا يُدْرِيكَ؟! لَعَلَّ اللهَ اطَّلَعَ عَلَىٰ أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ**»

يَقُولُ الْعُلَمَاءُ: فَالْأَمْرُ فِي قَوْلِهِ: «**اعْمَلُوا**» لِلتَّكْرِيمِ، وَأَنَّ الْمُرَادَ: أَنَّ كُلَّ عَمَلٍ عَمِلَهُ الْبَدْرِيُّ لَا يُؤَاخَذُ بِهِ؛ لِهَذَا الْوَعْدِ الصَّادِقِ، وَقِيلَ: إِنَّ الْمَعْنَىٰ أَنَّ

(١) البخاري (٣٠٠٧)، ومسلم (٧/ ١٦٧).

أَعْمَالَهُمُ السَّيِّئَةَ تَقَعُ مَغْفُورَةً، فَكَأَنَّهَا لَمْ تَقَعْ، وَمَعْنَاهُ -كَمَا قَالَ النَّوَوِيُّ نَقْلًا عَنِ الْعُلَمَاءِ عَلَيْهِمُ الرَّحْمَةُ-: أَنَّ الْغُفْرَانَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ؛ وَإِلَّا فَإِنْ تَوَجَّبَ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْهُمْ حَدٌّ أَوْ غَيْرُهُ أُقِيمَ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا، وَنَقَلَ الْقَاضِي عِيَاضٌ الْإِجْمَاعَ عَلَىٰ إِقَامَةِ الْحَدِّ عَلَىٰ مَنْ تَوَجَّبَ عَلَيْهِ الْحَدُّ، وَأَقَامَهُ عُمَرُ عَلَىٰ بَعْضِهِمْ، وَهُوَ قُدَامَةُ بْنُ مَظْعُونٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: وَضَرَبَ النَّبِيُّ ﷺ مِسْطَحًا الْحَدَّ، وَكَانَ بَدْرِيًّا، ضَرَبَهُ الْحَدَّ، وَكَانَ بَدْرِيًّا.

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ(١) رَحِمَهُ اللَّهُ: «اللهُ أَعْلَمُ، إِنَّ هَذَا خِطَابٌ لِقَوْمٍ قَدْ عَلِمَ اللهُ -سُبْحَانَهُ- أَنَّهُمْ لَا يُفَارِقُونَ دِينَهُمْ، بَلْ يَمُوتُونَ عَلَىٰ الْإِسْلَامِ، وَأَنَّهُمْ قَدْ يُقَارِفُونَ بَعْضَ مَا يُقَارِفُهُ غَيْرُهُمْ مِنَ الذُّنُوبِ؛ وَلَكِنْ لَا يَتْرُكُهُمُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ مُصِرِّينَ عَلَيْهِ، بَلْ يُوَفِّقُهُمْ لِتَوْبَةٍ نَصُوحٍ، وَاسْتِغْفَارٍ وَحَسَنَاتٍ تَمْحُو أَثَرَ ذَلِكَ، وَيَكُونُ تَخْصِيصُهُمْ بِهَذَا دُونَ غَيْرِهِمْ لِأَنَّهُ قَدْ تَحَقَّقَ ذَلِكَ فِيهِمْ، وَإِنَّهُ مَغْفُورٌ لَهُمْ، وَلَا يَمْنَعُ ذَلِكَ كَوْنُ الْمَغْفِرَةِ حَصَلَتْ بِأَسْبَابٍ تَقُومُ بِهِمْ، كَمَا لَا يَقْتَضِي ذَلِكَ أَنْ يُعَطِّلُوا الْفَرَائِضَ وُثُوقًا بِالْمَغْفِرَةِ، فَلَوْ كَانَتْ قَدْ حَصَلَتْ بِدُونِ الِاسْتِمْرَارِ عَلَىٰ الْقِيَامِ بِالْأَوَامِرِ؛ لَمَا احْتَاجُوا بَعْدَ ذَلِكَ إِلَىٰ صَلَاةٍ، وَلَا صِيَامٍ، وَلَا حَجٍّ، وَلَا زَكَاةٍ، وَلَا جِهَادٍ، وَهَذَا مُحَالٌ كَمَا لَا يَخْفَىٰ».

وَعَنْ عِمْرَانَ بْنِ الْحُصَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**».

---

(١) «الفوائد» (ص٣٥).

قَالَ عِمْرَانُ: «فَلَا أَدْرِي أَذَكَرَ بَعْدَ قَرْنِهِ قَرْنَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(١). هَذَا سِيَاقُ الْبُخَارِيِّ مُخْتَصَرًا، وَأَوْرَدَهُ مُسْلِمٌ.

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**».

وَعَنْ أَبِي مُوسَىٰ الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**النُّجُومُ أَمَنَةٌ** - يَعْنِي: أَمَانٌ- **لِلسَّمَاءِ، فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَى أَهْلَ السَّمَاءِ مَا يُوعَدُونَ، وَأَنَا أَمَنَةٌ لِأَصْحَابِي، فَإِذَا ذَهَبْتُ أَنَا أَتَىٰ أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ، وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي، فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَىٰ أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ**»(٢).

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**أَكْرِمُوا أَصْحَابِي؛ فَإِنَّهُمْ خِيَارُكُمْ**» رَوَاهُ النَّسَائِيُّ(٣)، وَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَىٰ عَنْهُ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**احْفَظُونِي فِي أَصْحَابِي**».

فَالَّذِينَ يَتَهَجَّمُونَ وَيَسُبُّونَ وَيَطْعَنُونَ أَصْحَابَ النَّبِيِّ الْمَأْمُونِ لَا يَحْفَظُونَهُ فِي أَصْحَابِهِ، وَلَا يُكْرِمُونَهُ «**احْفَظُونِي فِي أَصْحَابِي**». أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ، وَابْنُ مَاجَه، وَالْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ»، وَهُوَ حَدِيثٌ ثَابِتٌ صَحِيحٌ(٤).

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه مسلم (٧/ ١٨٣).

(٣) أخرجه النسائي في «الكبرىٰ» (٩١٧٩)، وعبد بن حميد (٢٣) عن عمر رضي الله عنه.

(٤) أخرجه أحمد (١/ ٢٦)، وابن ماجه (٢٣٦٣)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ١١٤-
=

وَعَنْ وَاثِلَةَ يَرْفَعُهُ يَقُولُ: قَالَ الرَّسُولُ ﷺ: «**لَا تَزَالُونَ بِخَيْرٍ مَا دَامَ فِيكُمْ مَنْ رَآنِي وَصَحِبَنِي، وَاللهِ لَا تَزَالُونَ بِخَيْرٍ مَا دَامَ فِيكُمْ مَنْ رَآىٰ مَنْ رَآنِي وَصَاحَبَنِي**» ﷺ، وَهَذَا الْحَدِيثُ رَوَاهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَابْنُ أَبِي عَاصِمٍ فِي «السُّنَّةِ»، وَرَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي «الْكَبِيرِ»، وَعَنْهُ أَبُو نُعَيْمٍ فِي «مَعْرِفَةِ الصَّحَابَةِ»، وَقَدْ حَسَّنَهُ الْحَافِظُ فِي «الْفَتْحِ»(١)، وَقَالَ الْهَيْثَمِيُّ فِي «الْمَجْمَعِ»(٢): «رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ مِنْ طُرُقٍ رِجَالُ أَحَدِهَا رِجَالُ الصَّحِيحِ»، «**لَا تَزَالُونَ بِخَيْرٍ مَا دَامَ فِيكُمْ مَنْ رَآنِي وَصَحِبَنِي، وَاللهِ لَا تَزَالُونَ بِخَيْرٍ مَا دَامَ فِيكُمْ مَنْ رَآىٰ مَنْ رَآنِي وَصَاحَبَنِي**».

وَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «**آيَةُ الْإِيمَانِ حُبُّ الْأَنْصَارِ، وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الْأَنْصَارِ**».

اللَّهُمَّ اشْهَدْ بِأَنَّا نُحِبُّ أَنْصَارَ نَبِيِّكَ ﷺ، وَنُبْغِضُ مَنْ يُبْغِضُهُمْ.

وَهَذَا الْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ الشَّيْخَانِ فِي «صَحِيحَيْهِمَا»(٣).

=

١١٥) عن عمر رضي الله عنه وصححه الشيخ شاكر في «تحقيقه علىٰ المسند»، والشيخ الألباني في «صحيح ابن ماجه».

(١) أخرجه ابن ابي شيبة (٣٣٠٨٤)، وابن أبي عاصم في «السنة» (١٤٨١)، والطبراني في «الكبير» (٢٠٧)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٣٧) وحسنه الحافظ في «الفتح» (٧/ ٥).

(٢) «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٠).

(٣) أخرجه البخاري (١٧)، ومسلم (١/ ٦٠) عن أنس.

وَقَالَ ﷺ -كَمَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ»(١)- فِي الْأَنْصَارِ كَذَلِكَ: «**لَا يُحِبُّهُمْ إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يُبْغِضُهُمْ إِلَّا مُنَافِقٌ**».

هَذِهِ بَعْضُ أَحَادِيثَ وَرَدَتْ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي تَعْدِيلِ الْأَصْحَابِ، وَفِي بَيَانِ فَضْلِهِمْ جُمْلَةً، وَهِيَ قَطْرَةٌ مِنْ بَحْرٍ، وَإِنَّمَا هِيَ حَبَّةُ رَمْلٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ مِنْ صَحَرَاءَ مُتَرَامِيَة.

وَتَسْتَنْتِجُ مِمَّا سَبَقَ مِنَ الْآيَاتِ وَالْأَحَادِيثِ مِنْ مَنَاقِبِ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم: أَنَّ اللهَ زَكَّىٰ ظَاهِرَهُمْ وَبَاطِنَهُمْ؛ زَكَّىٰ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ظَوَاهِرَهُمْ، فَوَصَفَهُمْ بِأَعْظَمِ الْأَخْلَاقِ الْحَمِيدَةِ، مِنْهَا:

﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ [الفتح: ٢٩].

وَمِنْهَا: ﴿وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾﴾ [الحشر: ٨].

وَمِنْهَا: ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ﴾ [الحشر: ٩].

وَأَمَّا بَاطِنُهُمْ فَأَمْرٌ اخْتَصَّ بِهِ اللهُ ﷻ، وَهُوَ وَحْدَهُ الْعَلِيمُ بِذَاتِ الصُّدُورِ، فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ، فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ، يَقُولُ ﷻ: ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾، وَيَقُولُ ﷻ: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾ [التوبة: ١١٧]، وَالتَّوْبَةُ عَمَلٌ قَلْبِيٌّ مَحْضٌ -كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ-.(*).

---

(١) أخرجه البخاري (٣٧٨٣)، ومسلم (١/ ٦٠) عن البراء بن عازب.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «عَقِيدَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فِي الصَّحَابَةِ» (الْمُحَاضَرَةُ الرَّابِعَةُ)، الثُّلَاثَاءُ ٢٥ مِنْ رَجَبٍ ١٤٢٦هـ| ٣٠-٨-٢٠٠٥م.

نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَرْزُقَنَا حُبَّ أَصْحَابِ نَبِيِّنَا ﷺ، وَأَنْ يُوَفِّقَنَا لِلتَّرَضِّي عَلَيْهِمْ، وَالِاسْتِغْفَارِ لَهُمْ، وَأَنْ يَجْمَعَنَا مَعَهُمْ فِي الْفِرْدَوْسِ الْأَعْلَىٰ مِنَ الْجَنَّةِ مَعَ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ.

وَصَلَّىٰ اللهُ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ.(*).

❀❀❀

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «عَقِيدَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فِي الصَّحَابَةِ» (الْمُحَاضَرَةُ السَّادِسَةُ)، السَّبْتُ ٢٩ مِنْ رَجَبٍ ١٤٢٦هـ| ٣-٩-٢٠٠٥م.

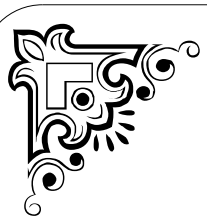

الفِهْرِسُ

مُقَدِّمَةٌ ٣

الْهِجْرَةُ النَّبَوِيَّةُ الْمُشَرَّفَةُ ٤

التَّمْهِيدُ وَالْإِعْدَادُ لِلْهِجْرَةِ ٨

أَحْدَاثٌ بَيْنَ يَدَيِ الْهِجْرَةِ ١١

أَحْدَاثُ هِجْرَةِ النَّبِيِّ ﷺ ٢٠

إِجْمَالُ خُطَّةِ هِجْرَةِ النَّبِيِّ ﷺ ٥١

الْهِجْرَةُ النَّبَوِيَّةُ حَدَثٌ غَيَّرَ مَجْرَى التَّارِيخِ ٥٣

عُلُوُّ مَنْزِلَةِ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم وَسُمُوُّ مَكَانَتِهِمْ ٥٦

عَقِيدَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم ٦١

حَدِيثُ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ عَنِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ٧٢